# سفر الغرباء

مجموعة قصصية

اسم الكتاب: سفر الغرباء
اسم المؤلف: محسن خزيم
التصنيف: مجموعة قصصية
الحجم: 14 - 20
عدد الصفحات: 72
سنة الإصدار: 2024
رقم الإيداع: 31844 / 2024
الترقيم الدولي: 978 - 977 – 971 – 089 – 1
تدقيق لغوي: د. هبة ماردين
لوحة الغلاف الفنان: أسامة سلامة
تنسيق وإخراج: فريق ديوان العرب

الناشر
ديوان العرب للنشر والتوزيع

إميلات الدار
dewanalarabegypt@gmail.com
dewanelarab1978@gmail.com

# سفر الغرباء

مجموعة قصصية

محسن خزيم

**حقوق الطبع والنشر لهذا المصنف محفوظة للمؤلف،**
**ولا يجوز بأي صورة إعادة النشر الكلي أو الجزئي،**
**أو نسخه أو تصويره أو ترجمته أو الاقتباس منه،**
**أو تحويله رقمياً وإتاحته عبر شبكة الإنترنت،**
**إلا بإذن كتابي مسبق من المؤلف أو الناشر.**

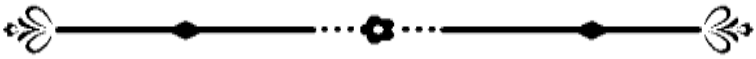

# إهداء

**إلى ابن ابنتي الغاليين**

**السيد/ يونس حسام مصطفى أول أحفادي الأعزاء وإن شاء الله ليس آخرهم، هذا الجيل المتقدم مع عصر الدولة الرقمية والتطور المذهل مع الذكاء الاصطناعي أقدم لك ثاني أعمالي "بعنوان؛سفر الغرباء" والذي أرجو**

**أن ينال إعجاب القارئ وأن تصبح يا يونس من حملة مشاعل التنوير.....**

**محسن خزيم**

****

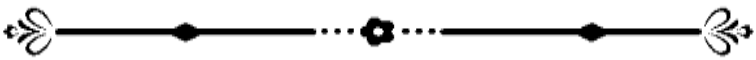

**إنني لأتحدث من أجل إسماع من يأتي بعدنا**
**وأطرح فكري، فأعمارنا لا تمتد إلى الأبد.**

**جلال الدين الرومي**

# (1) أثير والقاضي

دخل القاضي الشاب قاعة المحكمة في الموعد المحدد له تماماً، وكعادته التي لم تتغير منذ قسم قسم الولاء، صعد الرجل درجتين ليجلس على المقعد المخصص له، وفوق رأسه ميزان العدل، القاعة تضج بأصوات الحضور ما بين نفير وصخب، بين محامٍ مع جانٍ أو مجنيّ عليه، وبين جنديّ ينظم المارة، فجأة أشار القاضي على الحاجب الذي يقف من خلفه حتى ينادي على أصحاب القضايا التي موعدها اليوم، بصوت جهوري صرخ الرجل: محكمة.

ساد الصمت وعم السكون قضية رقم واحد... السيدة أثير رائف أكد الجنديّ الذي يقف حارساً عليها أنها هنا.. أثير لم تستطع الوقوف على قدميها، فهي سيدة عجوز صوتها واهن كجسدها تماماً، قالت بصعوبة: أنا هنا يا سيادة القاضي.. ها هم الواقفون بين المنصة والقفص يثيرون ضجة، هم مريدو وأتباع السيدة أثير، عندما رأى ذلك القاضي شعر باختناق وشعر أيضاً بكم الخوف في عيون الناس، سأل القاضي السؤال الأول للمتهمة، وكانت هي تعلم أنّه يعرف أنّها تقف أمامة للمرة الثانية قال لها: هل تريدن شيئاً ما قبل الحكم عليك؟ قالت: نعم.

فقال لها: ماذا تريدين؟ قالت: أردت التوبة قبل الموت وأن أحيا حياة شريفة نظيفة. قال لها: هي لك يا أثير بشرط أن تصدقي النية، وعقب دون

ترد قائلاً: حكمت المحكمة حضورياً على المتهمة فيما نسب إليها بالبراءة، ضجت المحكمة بعد هذا الحكم وزاد الصخب بين المتسكعين والعاطلين، وأصبح الناس في القاعة يحدقون في وجوه بعضهم وهم يرون الدهشة، حتى على وجه المحامي نفسه، الذي أخذ يضرب كفاً على كف، لكن القاضي الذي ضرب بمطرقتة على المنصة حتى يسكت الجميع قال لها بلهجة شديدة: لا بد أن تفهمي شيئاً مهماً، هذه هي الفرصة الاخيرة لك، ووالله لو عدتِ لن أتردد لحظة في الحكم عليك، وها أنا عملت بقول والدتي عندما قالت: اسألوا ظروف الناس قبل تسألوهم.. ولقد سألتك وحققت لك رغبتك، اذهبي فأنت حرة، فتحت أثير ثغرها بين الرجاء واليأس، وهي لم تصدق نفسها أنّها حصلت على البراءة، لكن القاضي الرحيم قد توعدها قائلاً: يا أثير إن عدتِ عدنا، فليس من المعقول أن تمارسي أعمالاً مخلة وتتاجري في صنوف المخدرات وتكون كلها مصادفة الحاجة للمال حتى لو صدقتِ، لم تبالِ أثير فقد أنساها الحدث حديث القاضي، وأخذت تفكر حتى قبل أن تغادر قاعة المحكمة، إلى القسم التابع لها، لاستكمال بعض الإجراءات المتبعة، خرجت أثير من شرنقة السجن، يحيط بها رهط كبير من أتباعها، إلى براثن الحياة القاسية، أخذت تفكر في ديونها التي تراكمت، وهي لا تملك مالاً ولا ميراثاً، هي لا تملك غير محبة الناس وهي محبة لا تطعم ولا تغني من جوع، وهي في أشد الحاجة للمال، ماذا تفعل فقد غلبها التفكير والتدبير وهي التي تبنت ولدين اثنين فلما أشتد عودهما وعرفا الحقيقة فرا

هاربين من هول أوزار امرأة هي التي ربتهما من أموال حرام وهم أولاد حرام، وأخيراً كان قرارها الذي كان من نتائجه عودتها إلى سيرتها الأولى، ابتاعت من تاجر المخدرات المعتاد بضاعة آجلة، وذهبت إلى منزلها في الحي الشعبي العتيق، حيث يعرفها الناس وتعرفهم، الناس الذين أحبو تلك السيدة، هم أكثرية مطحونة، أحبوها لبضاعتها الرائجة، استراحت أثير بعض الشيء واستردت أنفاسها، بعد أن باعت من بضاعتها الممنوعة وسددت بعض من ديونها، وردت لأصحاب البيت متأخرات إيجار قديم، واشترت حاجاتها وادخرت بعضاً من النقود، وعادت تمارس عادتها القديمة، من ود ومجاملات للمهمشين والصعاليك والمساجين على ذمم قضايا مختلفة، حيث تذهب إليهم بالسجائر والمأكولات، وتضع لهم بعض النفود في خزينة السجن، لشراء حاجاتهم أثير يعرفها أهل المدينة كلها هي سيدة متناقضة غريبة الطباع يعرفها القاصي والداني، شهرتها امتدت خارج المدينة، ولكن ما أشبه اليوم بالبارحة، نية القاضي والعهد الذي قطعته على نفسها، لكي تحيا حياة سعيدة، ولكن من أين لها بهذا والدنيا التي تخلت عنها ما زالت تقسو وتقسو عليها؟ لم ترحمها ولم تبقِ عليها غصة، من بين الناس التي كانت تعطف عليهم من وشى بها إلى رجال الشرطة، سرعان ما تم القبض عليها متلبسة بعدما تمكن المرض منها وضعف بصرها بشدة، لم تتمكن من العمل الشاق بعد زوال الصحة والشباب، وهي التي اهتزت لها الأرض بقوامها وأنوثتها تعيش في شقة صغيرة تغوص دوماً في ظلام الماضي،

كانت تنظر إلى المرأة وهي تحدث نفسها عن أشيائها الجميلة وآمالها الضائعة، هي من أروع النساء جمالاً ورقة ودفئاً، لا شيء يعادل دفئها.

ظلت في شقتها التي فارقها ضوء النهار، لم تجد رجلاً ينشلها من ظلمتها إلى ضوء تتمنى أن تعرفه، ضوء في النفوس وليس في لمبات الحكومة المعلقة في أعمدة الأزقة، كانت تقول لنفسها: كم حاولت من جديد أن أخرج من رهان أحلامي، سالت الخواطر من عقلها وزخت الدموع من وجنتيها، لقد غدرت بها الأيام، مات أبوها بشظايا حرب النكسة هكذا فهمونا وقتها كانت لا تملك لنفسها نفعاً ولا ضراً، ثمّ ماتت أمها حزناً على أبيها، لعبت بها الأيام وهي تحاول الرجوع إلى براءتها الأولى، لم تتمكن الخروج من ركاب رجلٍ ظالمٍ تزوجها وهي في عمر الستين، وعندما مات أعطوها ميراثاً تربتين من الحشيش، وقبل أن ينزعوا منها ثوب الحياء كانت قد أصبحت واحدة من ضحاياهم، عاشت على إرث الضلال، وهكذا أصبح رواحها ومجيئها على راحتها عنواناً للفساد، هي الآن اكتشفت أنها في جلسة محاكمة من جديد، قالت للقاضي: قبل أن تسألني حاولت أن أصون حياتي، لكنهم لم يهملوني، لم أتمكن من ذلك كل ما في العمر انقلب وضاع، لقد نمت وصحوت ووجدت نفسي بين شخصيتين أثير الجانية وظلها المجني عليه، لا أعرف لماذا جئت هنا يا سيدي القاضي، لقد حاولت أن أقضي حياتي في النور، لكنّني لم أرَه ورأيت هؤلاء المتسكعين، حتى يمكنني أن ألمس تعاسة الذين تؤرقني حيواتهم ومصائرهم، لقد ساد المحكمة صمت

رهيب، نادى القاضي: حكمت المحكمة على السيدة أثير رائف بالسجن عشر سنوات لم تستمع هي لحرف مما قال، فقد سقطت مغشياً عليها، وتم نقلها إلى مستشفى السجن بين الموت والحياة... ثلاثة أيام لم تشعر بشيء غير يدٍ حانية تعبث في سريرها لما أفاقت. قالت: لم أمت بعد؟ قالت لها الممرضة: لا يا خالتي أثير... أخذت تردد: اللّٰهُمَّ أني تُبت وعزمت ألا أعود إلى المعاصي أبداً، ثمّ راحت في سبات عميق، ولم تعُد إلى الحياة مرة أخرى.

****

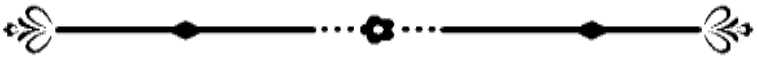

## (2) موت مؤجل

عاش حياته كما يقولون بالطول والعرض، دون أن يبالي بشيء أو على شيء، ولد وعاش وتربى في أسرة فقيرة، لم يعرف فقرها إلا من عاش معهم، والعيش شيء والرؤى شيء آخر، اقترنت حياة أبيه بثلاث زيجات متوالية، الزوجة الأولى ماتت على أثر شظية في حرب "النكسة" أسموها كذلك بدلاً من الهزيمة، وقت أن مزق الطواغيت فرح العروبة، الزوجة الثانية لما سافر أبي وعاد وجدها اقترنت بوظيفة حكومية غيرها، فاختارت وظيفتها فطلقها، هام على وجهه من مدينة إلى أخرى، حتى عاد إلى مدينته وهي إحدى مدن المواجهة، حتى ألتقي والدتي تراني لا أحكي لك عن عذابات والدي حتى تعرف أني غير جاحد ولا ناكر لحكم القدر، أقول لكم ذلك بعد أن عدت خاسراً كل شيء، بعد تلك الرحلة التي كانت وانتهت بعقاب عادل، فأنا الذي اخترت وليس أحداً غيري، على الطريق المؤدي إلى عملي، وجدت أحد الأكمنة لرجال الشرطة، وهو أمر غير معتاد، وكذلك غير محبب أيضاً، لرجل مثلي خارج عن القانون، فكان لا بد له من اختيار طريق آخر، هذا ما كنت أفكر فيه وأنا أقود سيارتي، خارجاً عن الوعي، وعن المألوف، ما جعلني بدلاً من أن أدوس على مكابح السيارة للعودة للخلف،

للطريق المعاكس، دست على البنزين، وهو منحدر على رمل ناعم، في محاولة يائسة للهرب، ما أدى لانقلاب السيارة بي عدة مرات متوالية، تصاعد الغبار على إثرها، وعلت أصوات المحيطين من حولي، في صراخ محموم، تجمع المارة بسياراتهم المختلفة، حادث على الطريق، هذا ما تنامى إلى سمعي، وأنا أصارع الموت، لكن الموت نفسه لا أخاف منه، الذي أخشاه هي الفضيحة، بعد أن حدثني عقلي الباطن قائلاً: الآن سيعرف الجميع أنني تاجر للسموم، ولست متعاطياً فحسب، وينكشف السر، رحت بعد ذلك في سكرة تشبه سكرة الموت، وكأنّ صوتاً خفيفاً من بعيد يسألني: من أنت؟ في أول الأمر تلعثمت، ثم حاولت جاهداً أن ألتقط أنفاسي، وقلت: أنا فلان، وذكرت الشهادة، ورحت في غيبوبة، حملوني بعدها على نقالة، مسرعين بي إلى المستشفى، وأنا بين الحياة والموت، نظرت في نفسي وجدتها مسجاة على طاولة التشريح، في غرفة العمليات، سألت نفسي: ألم يكن ما أنا فيه لحظة حساب؟ تململت في رقدتي أكثر، وجدت أنّ الأمر هادئ، لا جلبة ولا صخب، عقلي الباطن لم يسترح، سألت نفسي: أين ولدي؟ بل أين ابنتي؟ قد يكون هناك أمر ما، إذن أين زوجتي؟ أليس من المنطق أن تكون بجواري تنوح؟ قد يكونون مشغلين في إعداد جنازتي في لحظات الصمت المميتة، لم أعد أسمع شيئاً، فقد أطبق الصمت على المكان، إلا من صوت بعيد يهمس في أذني: لقد فقدت ابنتك، تحرك البدن المسجى، هي

ابتسامة البراءة في حياته، هكذا يشعر، نزلت من بطن أمها لديها نقص من الأكسجين، ما أفقدها النطق وشل حركتها، كان يشعر أن ذنوبه قد تجمعت لتدفع هي ثمنها، إلا أنّ ابتسامتها هي التي تنير له الوجود، كان يشعر بعجز نحوها، فكان يبكي ويبكي كلما رآها حتى لا يفيق، دائماً هو ثمل للهروب من براثن الحياة، بعد عشرة أعوام ماتت، رفع سبابته مودعاً حليفه اليأس وحظه العاثر، وهو ما يزال في غيبوبته يصارع الموت، تتسربل دموعه من وجنتيه، تبلل لحيته، يبدلون له الوسادة، مع دعوات أم لا تنقطع، إلا أنّ المصائب لا تأتي فرادى، فزوجته المريضة قد فارقت الحياة، وهو رغم شعوره بما يحدث من حوله، إلا أنّ عجزه قد أسكنه الصمت، وتقوقع في ذاكرته القديمة، لا شيء غير شريط ذكرياته الأسود، فلم يكن في حياته لون أبيض، غير نصائح أمه، حتى أوشك على الاستسلام، ظناً منه أنه الموت المحقق، هكذا عند الرحيل يعيد المخ ذكريات السنين، لكن الموت ليس فيه صخب، ولا حقن ولا شاش أبيض، غير الكفن، لكن هذا الذي يراه ليس كفناً، إنّها ذاكرة ما قبل الرحيل لرجل يموت قبل الموت، مرّ عام على هذا الحادث الأليم، وإذا بالرجل يفتح عينيه، وبشارة الطبيب لأمه أنه سيفيق جزئياً، فلا يتحدث معه أحد، سويعات مرت على الرجل بعد مفارقة الطبيب، حتى شاهد جدران الغرفة ورأى أمه تقول: حمداً لله على سلامتك، بكى بحرقه وهو يقول: هل شيعتهما وأقمت لهما عزاء يليق، بكت أمه

ظناً أنها ما زالت في حزنها على الراحلين، وهي تفكر كيف لو عرف، أنّ ولده هرب إلى نفس المصير المجهول ولا تعرف كيف تخطر أباه بعد كل هذا العناء، وهل يكون نصير الشر غير شر مثله، وقد يأتي يومٌ جديدٌ يرى فيه النور...

****

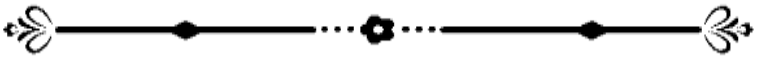

## (3) صوت النوارس

صحوت من النوم غير عابئ بأيدي الحوادث من حولي، وغير مكترث بشيء يذكر، وكنت كلما عاتبت نفسي جاهداً لطرد بواكير اليأس أعود لروحي الهائمة في أحلامي الواهية، لعلّها تكون أحسن حالاً من عالمي المحبط، ومن البطالة وقلة العمل وسوء المنقلب، وقلة النصير، كنا قد عدنا تواً إلى مدينتنا، بعد الانتهاء من حرب قسرية طويلة، لا أدري هل فرضت علينا، أم تسببت فيها الظروف، لكنّنا في كل الأحوال منتصرون ولا نحب التشرد ولا القتل ولا الضياع، لكنها الحرب نفسها لا تفهم ذلك، وأنا كذلك ليس لدي تفسير، إنما عليّ الاندماج في الواقع السخيف، مرت الأيام ولا شيء أجده يختال في سماء المدينة غير ذلك الطائر سيئ السمعة، المسمى بالغراب، قالوا لي: لا تسبه إنه علّم الإنسان كيف يواري سوءة أخيه، كنت كلما حاولت الخروج من عالمي هذا لم أجد غير بزات جنود وضباط لونها مختلف عن بزات جنودنا، عالقة في الخربات، نعم لقد هدم العدو بيوتنا، فجردناه من ملابسه، خرج ومن كثرة الضرب حُفرتْ نتوء على قفاه، لقد خلت المدينة من دنسهم، بل لم تطأ أقدامهم الجزء الأكبر منها، على غير العادة بدا في الأفق صوت طائر مغرد، إنه النورس القادم من الغرب في رحلته الصيفية، كنت قد رأيت ازدحاماً من نافذة بيتنا القديم، على إثرها

خرجت وتساءلت عن هذا الطائر، قالوا: "بشائر النورس قد هلت، وهلت ليالي حلوة وهنية، ليالي رايحة وليالي جاية"، كانت لهم بعض الأغاني القديمة مثل هذه الأغنية الشهيرة لفريد، التي تعزف على أوتار السمسمية يقول بعضها: "الليلة حلوة جميلة مفرحة ومش هي غني فيها الكروان ويا الصهبجية دا مفيش ليلة انسجام زي الليلة دية " هكذا كانت ليالي المدينة بعد النصر المبين، حتى تلك الليالي الصاخبة التي يجتمع فيها شباب الحي على بزوغ نجمات فاتنات في سمائها، اتضح فيما بعد أنهن بنات أحد الرجال النازحين في الهجرة، وقد عاد مرة أخرى إلى أملاكه وتجارته التي دمرتها الحرب، رغم أنّه كان تاجر أسماك كبيراً، يبدو أن الغيوم بالنسبة لي تبددت، وأنّ الشمس عن ضيائها قد أفرجت، وبدأت روحي الساكنة في جنبات جسدي تعرف طعم الفرح، فقد قامت نهضة بناء للمدينة التي هدمتها الحرب، وبدأت انفراجة في الرزق، وفي الحياة رغم صعوبة الحال لكن الحال تبدل كثيراً، وبدأت مع كل إجازة صيف أنتظر تلك الجلبة التي يقوم بها شباب المنطقة، حتى آخر عام دراسي في الجامعة، فقد عاد الرجل إلى موطن هجرته، حيث لم ترُق له مدينته الساحلية، فاتخذها مصيفاً للعائلة، لكن رغم الضجيج كانت هي دائماً عكس أخواتها تحب العزلة والوحدة، تتأمل كل شيء جميل، لا تحب الزحام، لكنّها تحب الموسيقى مع صوت النوارس في الصباح، تتماهى مع أنغام ثومة وتبحر بين كلمات نزار، وتبتعد عن المتسكعين في الطرقات، بعيداً عن إيناس لا يعانون من الفراغ فحسب

ومن قلة العقل هؤلاء الذين يحشرون أنوفهم تحت جلود الناس، تنزل من عيونهم خيوط الدهشة والترقب، لا شيء يستحق طغيان نزواتهم حتى تلك الأجساد المارة حتى في الطرقات، محدقين أعينهم فيها، إلا من نفسي الخاشعة في محرابها، حتى تلك الليلة التي خلت من زرقتها، شعرت أنّ ظلال سحب صادقة تحتوي أنفاسي الحارة، وقتها كنت قد عرجت بمساري نحو بيتنا القدم، بدا وجهها شيئاً فشيئاً يتطلع إلى عيوني حتى أصبح لا شيء بيننا، استمعت إلى صوت أنفاسها، صوتها وهي تنطق اسمي في صمت، بدا الصوت مدهشاً هامساً لا يسمعه أحد، وكأنّها تمسك بالشوق، أو تحاول الإمساك بطفولتي التي لم تلوّث بعد، لكنّها لم تنطق بشيء رغم أني سمعت كل شيء، فرحت وقبل أن تعلو ثرثرة القادمين من الدروب بدا وكأنّ زخات العطر تفوح في كل مكان، وتلاشى ذلك العطر مع صوت الأذان ويمر أذان تلو أذان، وتنتهي منحة الصيف، ويعود التاجر وينتهي الحلم، ويمضي قلبي بين غابات الخوف والمجهول، حاولت التحلق فوق السحاب، لكن السماء كانت بعيدة، حاولت من البحر لكن الشطآن كانت غريقة، سمراء كانت سرمدية، إذا مرت من درب يشتعل الضوء كقطعة بركان ملتهب، لها جسد مشدود كأحد تماثيل أجدادنا العظماء، بدأت الرحلة من بعد تطهير الأرض، واستمرت حتى تمادت الأيام، هي تقف في براح، وأنا في مقاعد المتفرجين، أرهقتني المتابعة، فقد رفض والدها كل أنواع القرب، بعد الرفض والهجر عادت ذات صيف تحاول استعادة الروح من بين قطرات الدمع،

بدأت أسترق النظر إليها مثل لص مجنون لكن روحه مقدسة، كانت مثل أبيها تحب أن يسعفها القدر وتحتفظ بالحب والزواج، لكن لا السماء هي السماء ولا الأرض هي الأرض، ولا الشجن هو الشجن هكذا قالوا، مضت هي ومضيت أنا وما زلت بين الماضي والحاضر أعشق السكون وصوت النوارس.....

****

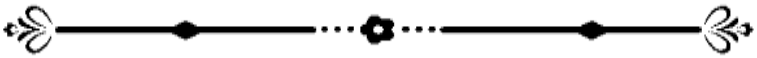

## (4) البحيرة المقدسة

استلمت دعوتي من منظم الحفل التاريخي، الذي سوف يقام على ضفاف نهر النيل الخالد، في عاصمة دولة الفراعنة القديمة "طيبة" ومقرها الأقصر الآن، أرى أنّ الهواجس التي في رأسي لا مبرر لها، غير أنّ رنينها لم ينقطع، الإيماءات التي افتعلتها برأسي ليست دليل موافقة على ما قيل لي عبر الهاتف، بل هو امتعاض لخطورة ما سمعت، كانت التعليمات واضحة وضوح الشمس، لا بد أن أركب قطار الساعة الخامسة، مساء اليوم المتجه إلى المدينة ذات الطابع التاريخي، المتبقي من الوقت حين هاتفوني تقريباً ساعتان، كانتا كافيتين لإعداد نفسي حتى أصبح في محطة رمسيس وهي من أشهر محطات سكك حديد بلادي، الآن تتحرك قدماي للمجهول، يداي العابثتين في أشيائي ترتعدان، لكنّي انتهيت من كل شيء، في الرابعة والنصف قفزت في أول سيارة في الشارع، أشعلت سيجارتي، وقلت للسائق بلهجة آمرة: اذهب إلى محطة السكة الحديد، في الوقت المحدد كنت في إحدى عربات القطار المتجهة إلى الجنوب الساحر، بعد لقاء ذلك الرجل الغامض، تحرك القطار بعد سماع صوت صافرته المزعجة، تحرك رويداً رويداً، وسرعان ما نهش قضبانه نهشاً، ولجت إلى غرفة النوم المحجوزة مسبقاً، غرفة ضيقة لكنها منعزلة عن أعين الناس، نظرت من النافذة عند الأصيل

كانت الشمس قد أحاطها الظلام وبدأ الغسق فارداً أجنحته، لم أرَ غير نخيل وأشجار تسير في الاتجاة المعاكس، والقمر يعكس ظلال ضوئه على صفحة النيل، لا أدري لماذا هذا المشهد يخيفني، رغم جماله لكنّي لم أبالِ، كل الذي يهمني هي تلك المهمة، التي أرسلت من أجلها، الآن يجب عليه ترك الوساوس، مرت الساعات كأنها دهر بطيء متسلط على عقلي، سويعات أتحدث إلى نفسي: كيف يكون الحال لو أخفقت؟ بعدها بلحظات طويلة أو هكذا شعرت، قرع صوت جرس المحطة، بعدها بدقائق هدأ القطار رويداً بدأ دخول المحطة صوت المذياع الداخلي يرحب بالراكبين، ثم يعلن أن القطار القادم من العاصمة يرسو على رصيف رقم واحد، وقف القطار في حركة بهلوانية كنت على الرصيف المذكور، رسوم حديثة نقشت على جدار المحطة، لا يعبر عن كونها مدينة تاريخية، لحظات أصبحت فيها أنا والنهار وجهاً لوجه، وكل من حولي وجوه سمراء هم سائقو عربات الحنطور، أشهر وسيلة مواصلات في المدينة، يبحثون عن أرزاقهم، لأول وهلة شعرت بجلال المدينة ووقارها، إنها مدينة مسكونة بصمت الآلهة، أبناء المدينة يعرفون الحدث الأثير الذي من أجله يقام الحفل، إنه احتفال باكتشاف طريق الكباش الذي يربط القصر الملكي بالبحيرة المقدسة، ساد صمت موحش ووقار صارخ، ورهبة شتت ظلمة الليل، ركبت السيارة التي من المفترض أنها تنتظرني، اتجهت بي إلى أطراف المدينة شرقاً، حيث معبد الكرنك الذي شيد لعبادة الإله أمون وزوجته، أضاف عليه الملك المنتخب هذا الطريق

الأسطوري المسمى بطريق الكباش الجديد، في لحظة رحت في غفوة عدت منها لأجد نفسي في مكان بعيد يشبه زراعات القصب، لم تكن السيارة التي ركبتها غير طعم لأفراد التنظيم الذي قادني معصوب العينين، يحيطني صوت مفزع: لا تقتلوه قبل أن يعترف أين باقي رفاقه، أو أن يوافق على باقي الشروط، أدركت للتو أن الخطة التي شرحت في الهاتف قد نجحت، وأنها حقاً أذيال الغدر ما زالت متربصة بكل جديد، ضحكت حتى بدت نواجذي وطلبت مهلة دقيقتين، وقبل الموافقة نزعت الماسك عن وجهي، ساد الصمت وتهامسوا فيما بينهم، ثم قالوا: إنه يشبه المسؤول الذي يفتتح الطريق الآن، في غمرة المفاجأة سمعت صوت الفنانة سميحة أيوب عبر أثير المكريفون القريب يقول وهي تحكي أسطورة المعبد البعيد: تحية لكم يا من حججتم إلى ديار الصعيد سترون الآن جديداً في جديد، إنه تاريخنا المجيد، صوتها العالي لم يلهِ الجموع عن مشاهدة ذلك في شاشة العرض داخل المعبد بالقرب من البحيرة المقدسة.

****

## (5) موعد سفر

كان بيننا الكثير وما زال بيننا الوجد المشتعل بنار الهوى لا يخفت أبداً، إلا بحديث ساعة أو ساعتين عبر الهاتف الأرضي كل يوم، وكنت كلما لعب بي الشوق، أزيد أضعاف جرعة الحديث لعل النار تهدأ، أو يستريح قلبي، لكن ما كان يحدث أنّ الشوق كان يشتعل أكثر فأكثر، لم يكن لديه القدرة على الاختيار، غير محاولة السفر إلى محبوبتي، أو العكوف عن الحبّ... لكنّ الحبّ نفسه ليس بأيدينا. من هنا حاولت اللحاق بآخر عربة في القطار المتجه إلى الجنوب، بعد أن وصلت إلى محطة السكة الحديدية، لقد قال لي الموظف الجالس على مكتبه خلف القفص الحديديّ في المحطة التي بنيت على التراث الإنجليزي القديم: لا توجد تذاكر، لكنه أراد خدمتي فأشار على العربة الأخيرة في القطار الزاعق التي دلفت فيها، بعد ركض استمر دقيقتين، اشتبكت فيهم الأيادي لتلتقطني قبل السقوط إلى أسفل عجلات القطار التي لا ترحم، غاص جسدي الضعيف بين أجساد مبللة بالعرق من شدة لظى الصيف، بعدها وجدت نفسي واقفاً في زحام شديد على قدم ولا أدري في أي صوب قدمي الأخرى محشورة، ماذا حدث؟ أين أنا... قالوا: أنت هنا في قطار الجنوب، صرخت مردداً: أريد النزول. قال لي شاب: اصبر يا رجل محطة أو اثنتين وسوف تنتهي هذه

الزحمة، محطة تلو محطة مر الوقت وبعد وقوف متكرر والناس كأنهم يوم الحشر متبلدون، النائم على حافة المقعد، والمتكئ على نافذة مكسورة، والثرثار الذي لا يكف عن الثرثرة، وهناك خلف الباب الحديدي للعربة المدخنون وبين باب العربتين المتقابلتين حمام قديم متهالك فيه بعض الناس لا يخلو إلا لسيدة تقضي حاجة، وهكذا دنيا الله من صنع البشر، تصطك عجلات القطار القاسية على قضبان أشد قسوة، والناس بين شهيق ملوث وزفير مؤلم وبين كذب ونفاق لتجميل واقع مزرٍ، كان قد بدا في الأفق ظل مائل نحو الغروب، إنّه ظلّ جسد القطار الزاحف على حافة النهر المستكين، وأشجار النخيل المتلاحقة في عدو معاكس وحقول المزارع المقسمة مربعات، وحيوانات جافلة من شدة النعيم، رأيت ذلك من كوة في جسد القطار حتى استسلمت الشمس للمغيب وحلّ في العربة الظلام، وفي القلوب وفي العقول الخلف للإنسان المتحضر قطار الموت هذا تصل فيه ساعات السفر لأكثر من عشرين ساعة، يحمل في داخله كل أنواع البشر الحالم والصابر والمتأمل والمخادع والحاقد والناقم وزير النساء، الأمر الأكثر غرابة هم هؤلاء الباعة تلك اللوحة التي لا يخلو منها قطار، هنا بين المتسكعين والمهمشين والجوعى وبين المتأنق الذي يحاول جاهداً الحفاظ على بزته العسكرية وبين جنود الشرطة ورجال القانون الذي يحمل حقيبة مليئة بالمستندات، إنها صورة طبيعية في قطار محفوف بالمخاطر تلك الصورة أصبحت عادية من أقصى الجنوب اليائس حتى حدود الوسط

المنغمس في الفقر والجهل، ولا تسألني ما الذي دعاني للسفر؟ إنه الحب الذي يملأ القلوب وإنها الجيوب الفارغة كقماش الكفن، وإنها دعوة محبوبتي التي لا تحتاج إلا بعضاً من الماء وبعضاً من الخبز وكثيراً من الرحمة التي رأيتها هنا بين النساء الحوامل وكبار السن والأطفال والعجائز هنا في قطار الحبّ.

****

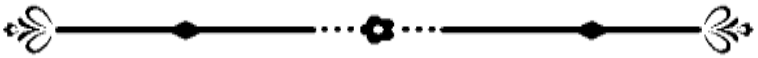

## (6) ميناء الأتكة

في الطريق المؤدي إلى العين السخنة على ساحل البحر الأحمر، جبال شاهقة شهيرة تسمى جبال عتاقة، كان جنود الاحتلال الغابر كلما استوقفوا مجموعة من الصيادين، يسألونهم إلى أين ذاهبون؟ يقول الصيادون: إلى ميناء عتاقة، يكرر الجندي: أتاكا بلغة عربية مكسرة، يرد الصيادون: نعم. في محاولة للخلاص منه، مع مرور الوقت يصبح ميناء الصيد هناك أتكة دلعاً لاسم الجبل الشامخ عتاقة، ويظل الاسم راسخاً، ويخرج المحتل حاملاً للخيبات وبعض من الذكريات المؤلمة، ويظل ميناء الأتكة يحضنه الجبل، هناك نشأ رجل جاحد لا يعرف للرحمة طريقاً ولا يعترف بالمروءة مطلقاً، فقد نشأ على أيدي هؤلاء المتغطرسين وتعلم منهم كل سيئ، كانوا يسمونه سوء العذاب يوم أن كان صبياً صغيراً، كان يبات لياليه بين العشش التي يضعون فيها الطاولات التي تحمل الأسماك من السفن الراسية على الرصيف، وكان كلما جاع سرق سمكة أو بعض سمكة، مرت الأيام وتغير الحال من حال إلى حال.

حين سقط حسونة الأكرت - هذا اسمه - على رصيف الميناء حين كان يرتب العمال التي سوف تركب السفن الراسية، التي على وشك الرحيل لمغادرة الميناء خارج الخليج، متجهاً إلى دول الجوار بعد تنفيذ قرار وقف

الصيد من الجهات المسؤولة، لتنمو الأسماك الصغيرة، سقط حسونة بعد أن جاءت اتكاءته هو وعكازه على فراغ فهوى أرضاً، وهو يتمتم بتلك العبارة: "كلب البر ولا سبع البحر"، "كلب البر ولا سبع البحر" في دقائق معدودة أحضروا له سيارة الإسعاف، بعد خروجها من مكانها في ميناء الصيد المعروف، في سرعة مذهلة تم نقل الرجل إلى مستشفى كبير، حسونة رجل مال وأعمال بدأ حياته "عفشجي بعد سرقة الأسماك من الطاولات" من على رصيف الميناء الذي وقع عليه، أي من سارق لسمكة إلى لملمة الأسماك الساقطة من على الرصيف وبيعها، أثناء نقلها إلى سيارات النقل لتوزع حسب رؤية التجار، ثمّ تعلّم حرفة الصيد، بعد طول عذاب وغياب، فلما كبر واشتدّ عوده، تخلّص من الذلّ والهوان من جراء سرقة الأسماك وبيعها خلسة، أصبح عاملاً للصيد لأحد سفن الهيئة التابع لها الميناء، ولأنّه طموح تدرج من عامل إلى مساعد لريس المركب، ثمّ أصبح هو الريس، اشتهر وذاع صيته، بعدها بأعوام قليلة تملك أول مركب للصيد، ثم تعددت المراكب لديه تبعها مخازن كبيرة ومكانة أكبر في سوق السمك وبين ملاك مراكب الصيد، حضر الطبيب وأجرى الكشف وجد أنّ الرجل تعرض إلى جلطة حادة، قد تودي بحياته، على إثرها أسكنوه العناية المركزة مر يومين والرجل على حاله إلا من تلك العبارة، التي لم تفارق لسانه: " كلب البر ولا سبع البحر" حتى دخل في غيبوبة ظنوا وقتها أنه فارق الحياة، استدعوا الطبيب متعجلين، طلبوا عمال المستشفى المنوطين بالغسل جردوه من ملابسه،

وجدوا في رقبته سلسلة بها حلة على شكل سمكة، فيها وصيته، التي أكد فيها أنه إذا مات وهو على إحدى المراكب لا يرموه كسبع في البحر، حتى لا يأكله السمك، راجياً من يجد جثته أن يرمي بها في الصحراء، "ككلب البحر" حسونة الأكرت كان أول من أشار برمي جثامين الموتى أثناء الصيد إلى قاع البحر، وذلك لقسوة قلبه وجشعه، وكذلك لارتفاع ثمن عودة السفن إلى مقرها، حيث الزوادة والثلج والسولار، ولطول المسافات أيضاً فقد كان من ظلمه وحبه للمال يخرج على تقاليد الصيد، ويسافر بعيداً حتى حدود دول الجوار، وإطعام الصيادين بخبز يابس بعد قراءة الفاتحة على ظهر السفينة، يعطي إشارة لانطلاق المركب كتقليد متبع، وقد تحول إلى سبع لا يستطيع أحد معارضته، خوفاً من التنكيل به ومصيره المجهول، اتفق أبناؤه على قسمة الميراث، بكت زوجته بكاءً مريراً، وقبل أن يغادر الطبيب الشرعي وقبل استخراج تصريح الدفن شعر بنبض الرجل وهمس خفيف يقول: كلب البر ولا سبع البحر.

****

# (7) عاشق الروح

ويبقى شيء ما بيننا يجمعنا، يجذبني إليك، وهل تنجذبين أنت كذلك، لنكون مثل الماء والهواء، لقد صور لي عقلي هذا قبل أن نلتقي، من المؤكد أنه ليس قوامك الرشيق هو الذي جذبني، وليس هندامك الذي رغم بساطته هو منمق ورقيق، إنما هناك في الأفق البعيد ما يجمعنا مثل حبات اللؤلؤ، أو مثل الومضة والبريق، هل أنا أعرفك، بلى، وكيف الوجد منك إلا رحيق، والنرجس والزنبق على قارعة الطريق يرتشفان من عيونك ماء الحياة، ألم يكن الحوار بيننا سهلاً وبسيطاً.... ذات مساء نظرت إلى صورتك فرأيت عينيك كانتا سهماً منفلتاً كدماء تجري في العروق، يا أخت الروح الوله والصبابة فاضحان، ونحن ليس من أهلهما إنما لهما فاهمين، لا تظني أنّ ما أكتبه الآن خاطرة... بل سرد خطه الشوق فلا يختلط عليك الأمر، نقطة ومن أول السطر... تعالي أسكب بين راحتيك بعضاً من العطر، وقولي بالله عليك ألم يكن هذا الشذا من شهد رضابك الحالمين، يا أيها السكون الساحر، ويا أيها الشجن السامر ويا أيها الساقي هيا أقبلوا بين ثنايا عينيها، ننهل منهم كؤوس العشق، أي ورع هذا الذي في محرابك وأي تضرع يسكنني وأنا لم أبرح بابك ولم أذكر نجوى عذابك، حين يحكم الفراق، هل تظنين إلا روحين هائمين في رحابك، كانا في البدء كلمة، بعدها

الأرواح امتدت، وقدر لها قراءة الطالع، لتدرك خبايا الأنفس وأثرها العميق بعمق البحر الهائج، تجاذبت تلك الأرواح بعضها البعض، وتعانقت... لقد قرأت أول ما قرأت عنوانك القديم، شغفك بألوان زاهية، وحبّ الناي ولون الزهور، نعود للسطر التالي، أنت لست من البشر، قصدي من سلالة أرق بكثير، قد تكونين ممن ملك براءة الأطفال، أما السطر الأخير، أعرف أنك لست ملكاً عاماً، ولا من العوام، ولكن ما جدوى الكلام، والذي بيننا ليس كلاماً، ولا حتى سلاماً، هي الأرواح التي تلاقت عند اختيارك للعنوان "عاشق الروح" والقلوب التي تعانقت بلا أوهام، سيدتي ما ظنك برجل لا يبحث عن رغبة، منذ اللقاء الأول في فضائك، ولا عن لذة التي هي للإنسان، ماذا إذا افترقنا ما جدوى الفراق، ونحن روح بلا جسد، من ألف ألف عام، هل تعرفين أنّ لعينيك موسيقى لم تعزف إلا في حوانيت فلاسفة الغرام، أنّ لشفتيك همساً شفيفاً عفيفاً حيراناً، ولأناملك سطوة محارب في بلاد البلقان، وأما خدودك فهم شاطئ يغرق العطشان، ونمارق حروفك يعزف بها اللسان، يا أخت الروح هل لو صادف هذا البوح صدق المعاني..... تلتقي الروحان، يقولون إن الإعجاب أول درجات الحبّ، والحب سلاح الفرسان بلا خندريس، وهو أول درجات العشق وأما عشق الروح ذلك هو التجرد الذي ليس فيه لذة ولا شهوة، ولا جسد ولا نواميس، إليك عنوان لعاشق الروح فهل تقبلينه؟

## (8) الخبز والكفن

كنا نسابق الريح فقد، وصلت رسالة الآن لأحدنا عبر الهاتف، تقول الرسالة: نحن عند شجرة الصبا، وقد أغلقوا كل الطرقات، وأغلقوا كل الأبواب، نريد ماءً وخبزاً وكفناً، ثمّ انقطع الاتصال، يا لها من رسالة موجعة، والألم منها أشد من ألم الحريق! سألني صديقي: ماذا سنفعل بعد أن طالعني على الرسالة، ونحن جلوس في ندوة يجلس فيها الفرقاء، يتلون أبياتاً من الشعر، وبعض من النساء اللائي يشجعن حركات التنوير، يمسكن بهواتفهن وهنّ يمصُصنَ شفاههنّ؛ حسرة على قسوة العدو مع شعب غزة وعدم رحمته، بينما فيهن من تنشد الأناشيد بحرية بلادها، وينتظرن النعيم المرتقب، وهي تعرف أنّ في الحي التابعة له فقراء يتسكعون في الطرقات شحاتين، بينما تبدو الصورة أمام أعيننا ضبابية، كان صديقاي يفكران كيف يكون الرد عملياً على صديقنا هناك في أرض المعركة، مرّ من الوقت دقيقتان، حينما صرخت قائلاً: هيا بنا الآن نذهب إلى جمعية أحرار العرب؛ لنعرض عليهم التطوع لإيصال المساعدات إلى أشقائنا في المدائن، كان حماسنا شديداً، لكنّ الخذلان أشد وطأة حين رفضت كلّ الجمعيات تطوعنا وسفرنا، إذاً ماذا نفعل... هل نعيد صور أبطال المقاومة على هواتفنا، ونجلس على المقاهي محزونين ونذرف شذرات الدمع الحزين؟ أم علينا

بالدعاء مستسلمين، كنا قد أوشكنا على الانهيار والاستسلام لولا نداء القدر، فقد تلقينا دعوة تأبين لإحدى الراقصات الشهيرات، كانت دعوة صادمة، إنما داعيها رجل صادق وذكي يتمتع بأفق متسع، قال لنا: سنلتقي هناك برجل يبحث عن متطوعين، لم نكذب خبراً، فقد لبينا مسرعين إلى ذلك اللقاء، وقد وجدناه ملبياً لطلب السفر، كانت حيلة صديقنا ذكية ورائعة، فقد وضعنا في ثلاثة صناديق كبيرة، ومعنا أسطوانات أوكسجين صغيرة أيضاً، وأثواب من الأقمشة البيضاء، وزجاجات مياه كثيرة جداً، وكم من الكرامة، لعلّنا ننقذ سمعتنا كآخر العرب البلهاء، وضعنا الرجل عند أحد التجار، على أننا بضاعة، لم نحمل بندقية ولا حجراً، بل حملنا أرواحنا وبعض أبيات شعرٍ لأمل دنقل، وبعضاً من صور العرب الأقدمين، حملتنا سيارات النقل الثقيل بجوار البضاعة مثل الدقيق وبعض الأغطية والأدوية، حملنا أرواحنا على أكف أيدينا البريئة، لعلنا نستطيع أن نجهر بعروبتنا، دارت محركات السيارات، وكنا نظن أنها محركات طائرات حرب، الطريق في أوله سهل ومريح، الخوف ليس حليفنا، لكنّ المشوار صعب وشاق، القلق يلازمنا، نريد الدخول في سلام، لكنّ أعداءنا لا يعرفون السلام ونحن نعرف ذلك، لكنّنا نريد النجاح، نريد أن نلبي نداء قد قطعناه على أنفسنا ذات يوم كنا نلهو معاً حول شجرة صبانا ونحن أطفال صغار في غزة، وهو ألا يتأخر فينا من يستطيع أن يحمينا، وها قد جاء الوقت نصدق العهد والميثاق، وصلنا إلى أحد معابر الحدود، تقدمت السيارات كان مندوبنا قوي

الشكيمة، أدخلوا السيارات حيز التفتيش، صوت أنات الأطفال مرتفع، صراخ الجوع والألم، صوت الصواريخ والقنابل، وصوت الطغيان مرتفع عن صوتهم، لا مروءة ولا شجاعة ولا عروبة هي أشياء لا تشترى، هم كذهب لا يصدأ إلا مع العرب، لكنّ الخذلان والتردي ما أكثرهما! مع عبثية المشهد تمكنا من الهروب ومعنا ثلاثة صناديق، الأول ماء، والثاني خبز، والثالث أقمشة للأكفان، اختلطت علينا الصورة، فلا أشجار لصبانا هنا ولا شيء إلا بعضاً من أشجار الزيتون ملطخة بدماء الأبرار، وبعض جداريات بيوت تشبه العدم، كان علينا ونحن نقود السيارة، أن نموّه ونجري في كل الطرقات فأمامنا عدو لا يعرف الشرف، وكل وسائل النصر لديه متاحة، رويداً رويداً وصلنا لشجرة الصبا، وجدنا شيئاً غريباً، لقد وجدنا الموتى قد أعطوا الأحياء الأكفان، ليداروا سوءاتهم، ووجدنا الأحياء قد غسلوا الأموات بالماء، لقد ضحوا من أجل الأرض التي احتضنتهم في عزة وشموخ.

****

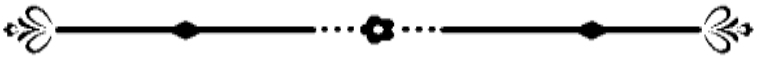

## (9) كوبري الليمون

يأتي المساء في كل يوم، ليجدني جالساً القرفصاء فوق فرن أمي الطينيّ، أستمع إلى حكاياتها المملة عن مدينتا التي هجرناها عنوة بسبب ويلات الحرب، كلما ألتفت يسرة ويمنة لا أجد سوى ظلامٍ دامسٍ، وعقل ضعيف يسكنني، لا أستوعب كلمة مهجرين ومدينة محتلة، لكنّه هذا العقل والقلب الصغير لا يؤمن بغير العودة إلى تلك المدينة التي ما فتئت أمي يوماً تحكي لنا عنها، أنام مستسلماً لأوجاعي نوماً ليس عميقاً، على أمل أن أصحو في اليوم التالي على سماع خبر جميل، ما إن تبدأ أمي في تكرار حكاياتها، حتى أغلق أذنيّ وعقلي وقلبي، لا أريد سماع شيء أحسبه لم يحدث أبداً، تمر الأيام بطيئة مملة يوماً بعد يوم، حتى يطرق ساعي البريد باب بيتنا المعبأ بأعباء الماضي، ودخان أمي وأنفاس يائسة تسكن الأرجاء، تمر شمس النهار محملة بصوت المذياع، لمذيع يتمتم بادعاءات وبعض الأكاذيب، تتمتم النساء العجائز بكلمات يغلب عليها الدهشة، وتغني الفتيات على أمل النصر، لا شيء يمس الواقع غير الوجوه اليائسة، وبعض المواشي تخور من الجوع، ودجاجات سارحة وبلح النخيل يتساقط غير رطب، أيامٌ وليالٍ تمر دون جديد، غير مياه الترعة الراكضة المملؤة بالبلهارسيا، وظلمة موحشة، على الطريق الممتد بطول القرية وعرضها، لا شيء غير لهو الشباب على

"الغرز"، وبعض الحيوات مثل البط والإوز الذين يركضون من المياه إلى مداخل البيوت، لا جديد غير ساعي البريد، يأتي في كل شهر حاملاً في يده خطاباً به نقود مرسلة من أرض المعارك حيث أبي هناك، أذهب بعدها إلى بقال القرية أدفع الدين القديم، وأفتح صفحة للدين الجديد، تمر السنين بطيئة مزعجة، حتى جاء خبر الانتصار، فرحت الثكالى ورقص الأيتام، وجاء ساعي البريد كعادته، لكنّه في هذه المرة لم يحمل نقوداً فحسب، بل وخبراً سعيداً، وهو سفري إلى مدينتي التي حررها جيشنا المغوار، أخيراً سيحملني الهواء الطلق، عبر ذلك البالون الساحر، حتى يقذفني إلى ذلك الحلم الأثير، حلم حكايات أمي عن جمال مدينتي، وبساتينها وشواطئها وكورنيشها ودور السينمات الباهرة، كنت قد عرفت من الرسالة أنه سيأتي أحد الجنود العائدين من الإجازة ليأخذني معه إلى والدي، رتبت حقيبتي الفارغة إلا من حكايات أمي وبعض حكايات كنت أحكيها لأقراني، في الموعد المحدد ودعت قريتي، وذاكرتي محملة بمشاهد وحكايات وصور كثيرة، في محطة السكة الحديد توقفنا بعض الوقت، كل شيء من حولي قديم، درجات السلم مقاعد المنتظرين متسخة، صوت صافرة القطار أخافني، لقد خذلتني نفسي، حين تملكها الخوف، تركني الجندي أرثي المكان وأناجيه، كثرت أسئلتي كنت كمثل فتى الكهف المسحور بلوعةِ بالمدينة، مرت لحظات بعدها كان كل من على المحطة محشوراً في عربات القطار تماماً كعلب السردين، أجساد منهكة على مقاعد متهالكة، شعرت

بنعاسٍ قد غلبني، لأصحو وأنا أسفل أحد مقاعد العربة التي تقلنا، بعد ما تجرد قلب الجندي من الرحمة بعد ما رأى من أهوال، نام هو أيضاً بلا روح تسكنه، فوق أحد أرفف الحقائب، لم أنم كثيراً صوت عجلات القطار كانت كأنها سكينٌ في يد حداد صوت مزعج، لكنّني نمت قليلاً، ولما أفقت شعرت أني في قمقم، صوت الباعة الجائلين ورائحة الدخان الخانق هم الذين أخرجوني من تحت المقعد، لأرى الجندي ينظر من أحد النوافذ، سألته: أين نحن؟ قال: نحن في محطة كوبري الليمون. قلت له: ماذا يعني هذا؟ قال: لقد وصلنا القاهرة بعدها سنأخذ القطار الحربي للسفر إلى مدينتكم.

****

## (10) كلنا غرباء

كنت قد أدركت أنّ روحي التي أحملها بين جنباتي تائهة، بعد أن سلبت منها كل مباهج الحياة، أشيائي التي أحبّها، وأصدقاء العمر الجميل، وشرائط الكاسيت القديمة التي أحتفظ بها، وسطوح بيتنا العامر بأصوات الحيوانات التي تربيها أمي، بما فيهم هديل الحمام، وكتبي وغرفتي، كلّ ذلك ودعته وسافرت، في سكني الجديد بعد سفري، قال لي الرفاق الجدد لا تخرج إلى الشارع، فقد يتم القبض عليك من قِبل رجال الشرطة، أنت وافد جديد "وافد أجنبي" ما زلت قيد التحري، وعمل إقامة محدودة لك، وقد يغادروك البلاد، رفقاء السكن لم يعرفوا أني بينهم جسدٌ بلا روح، وأني حين قررت الرحيل من وطني لم يكن من أجل المال، إنما كان من أجلها، هي شقيقة الروح، لقد قالوا لي هنا في تلك البلاد التي لا يدخلها العربي إلا بكفالة كفيل: لا بد أن تحترس.

في الأيام التالية سلموني إقامة، وقال لي الموظف: الإقامة هنا لمدة عامين فقط، عدت إلى الرفاق في المسكن، نبهوني أن كرم الضيافة قد انتهى وزاد عن حده معك، وقالوا أيضاً: لا بد لك من عمل، هنا في بلاد اللؤلؤ لا أحد يعطف على أحد، مما اضطرني النزول إلى الشارع، لفت انتباهي البنايات الشاهقة، والمحلات ذات الواجهات الزجاجية الفخمة، وأسماء التوكيلات

التجارية الغربية، رغم كل ذلك هناك شيء مفقود، لست فتاتي التي من أجلها جئت، ولا من أجل المال الذي أبحث عنه لأقتات، شيءٌ ما غادرني قد يكون الأمان، أو الأُنس، وقد يكون الحب الذي باعتني حبيبتي وذهبت، لم تعُد لتلك الأشياء قيمة، ما كل هذا الصخب والجلبة والضوضاء، في أحد المطاعم الآسيوية جلست لتناول وجبة الغداء بعد بحثٍ عن عمل وجوع، الصمت يلف المكان إلا من حركة العمال، في المساء عدت إلى ذلك الوكر الذي يشبه عنابر تربية الدجاج، أرواح متهالكة وأجسام ممددة تشبه الأموات، وأصوات شخير كصوت نقيق الضفادع، وروائح تزكم الأنوف من أثر الجوارب المتسخة أسفل الأسرة، هذا غير حريق المعسل الذي نتج عنه رائحة مقززة، في صباح اليوم التالي أبلغوني بفرصة عمل طيبة، لكنّها شاقة جداً، ثلاثة أشهر مروا وأنا في هذا العمل المضني، انتابني فيهم شيء من الجزع، نحن مساجين الجسد ليس لنا الحق في التعامل مع أصحاب البلاد، وإن حصل أنت المكفّل وهو الكفيل، مثل أنت العبد وهو السيد، في بلاد العرب هذه..... لم تعد بلاد العرب غير بالاسم فقط، أنت المهاجر الباحث عن العدل أو الحق قد أخطأت قدماك، وجئت هنا، بين أناس أنت لهم مكمل ضمن رفاهيتهم، دعاني رجلٌ منهم لاحتساء القهوة في دواوينهم، فرحت وظننت ما قيل عنهم ادعاءً باطلاً، لبيت الدعوة وجلست بين علية القوم، هم ليسوا جهلاء بل أجهل من الجهل، وهم ليسوا أنبياء لكنهم أبناء أبي جهل، سألني أحدهم عن شربة ماء، لبيت وعندما تمادى الآخر في

وجهه قذفت كوب الماء، وقلت: ألا تدري من أنا؟ امتلكني فزع عجيب وتاهت روحي عني وغبت، نقلوني إلى المستشفى، وبعد سويعات أفاق جسدي من المهدئات وإذا كل من حولي يرتدون الثياب البيض، عندئذ سألت: من أنتم؟ قالوا في صوت واحد: نحن كلنا الغرباء.

****

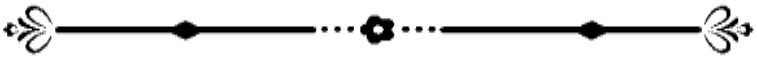

# (11) بيت العم

عادوا، كانت العودة ليست حميدة، سألت الجندي المرافق لهما: ماذا كان هنا أليس قتالاً؟ قال الجندي غاضباً: لا أدري، وعقّب: لماذا تسألني أنا؟ قال له الفتى: ألم تكن جندياً تقاتل من أجلنا هنا؟ قال في حدة: لم أقاتل من أجل أحد، بل قاتلت من أجل بلدي، بصوت عالٍ وهو يلتفت نحو والد الفتى قال: أنا عائد من حيث جئت، لم ينتظر الرد، وفي ثوانٍ معدودة ذاب مع أنفاس الصبح الندي، عندما عاد الرجل من بلدته القديمة تذكر ما حدث مع الجندي، كانت وقتها الهزيمة مؤلمة، مر الزمن وعاد الرجل إلى بيت أخيه بعدما هاجروا قسراً من مدينتهم، لم يجدوا شيئاً على الإطلاق مما ترك قبل النزوح، حتى العمارة التي ظلت صامدة تتحدى في عليائها القهر واليأس، لم تكن الصواريخ تدع أحداً يحمل شيئاً، ولم تُبقِ على شيء، فقد هدمت البيوت ولم يبقَ هناك أثر، حتى عمارتهم أبيدت عن بكرةِ أبيها، قال الناس: إنّها إرادة الله فلنرضَ بقضائه، نعم وهل هناك أحد لم يرضَ بقضاء الله! فقد دخلوا مدينة تشبه مدينة الأشباح، ليس بها حدائق ولا شوارع سليمة غير مدمرة، بعد أن قضت الدبابات والصواريخ على كل شيء، لم يروا غير خط السكة الحديد يشق المدينة، في كبرياء صلد لا يلين، وصوت صفيره مع صوت أجراس الكنائس وصوت الآذان، وشوارع خالية تتعارض

تلك الأصوات مع صوت الغربان والبوم ليلاً، عندما يرفع صوت أذان العصر في اليوم التالي، كانت تغلق الأبواب، ويكون كل عائل قد أدى واجبات بيته، كان الخوف والخطر محدقين بالناس، من كثرة الحديث عن القتلى والتنكيل بجنود العدو، كان الفخر يملؤهم ورغم ذلك كانوا يظنون أنهم سيعودون عفاريت، رويداً رويداً أقبلت سيارات النقل محملة بأغراض الناس، كان لعم الفتى بيت من طابقين، الطابق الأول مكتمل، والثاني ما زال بعد، اقترح الوالد أن يسكن في الطابق الثاني غير المكتمل، كان الصيف ساخناً يشبه أجواء الحرب، العم كان رجلاً طيباً يشبه الجنود النظاميين، عمله كان في حقول البترول في البر الشرقي مع الخواجات، الشيء الذي جعله يكتسب عاداتهم، عندما اشتعلت نيران الحرب وحدثت النكسة "النكسة" هو الاسم اللائق أكثر من الهزيمة، هاجرا والد الفتى وعمه وأسرتهما إلى الصعيد، لم يسترح هناك العم، ولم يتأقلم فقد أخذ على رغد العيش، ترك أخاه وعاد بأسرته إلى إحدى قرى مدينة القليوبية، كان قد ندب إلى إحدى شركات البترول في الإسكندرية، حتى تنتهي الحرب، وظلّ أخوه بين ربوع قرى الجنوب القاحلة، التي حرمت الماء والكهرباء، والطرق المعبدة والتعليم، حتى لاحت بوادر النصر في أكتوبر المجيد، عادوا وفي هذه المرة كانت العودة سعيدة، فقد تبدل الحال بالناس عندما تحررت الأرض، وانقشع الهم والغم وعادت القناة إلى مراسيها من جديد، وبدأ في الأفق عامٌ جديدٌ وفرحٌ جديد، يقول الفتى: بعد مضي بضع سنين، سار رجل، لماذا

تذكرت هذه الأحداث الآن بينما يحدثني صديق عن شاطئ المدينة الشهير، المسمى شاطئ ريكس، ولا أدري لماذا هذا الاسم، إنما كان هو المنفذ الوحيد على شاطئ البحر، يأتي الصيف فتهرع الناس إليه حاملين القلل والبطيخ، ثمّ في خطوات يصبح الناس في قلب الماء على الشاطئ، يسبحون ويلعبون وفي شفق الشمس يعودون إلى بيوتهم فرحين بعد أن أنهكهم التعب، اندثر هذا الشاطئ دون عودة وأصبح الناس بلا ركس وبلا أشياء عديدة واعتاد الناس عدم وجود الشاطئ القديم والود القديم، وكذلك الأُنس الشيء الأكثر غرابة هو تغير طباع أناس وضياع القيم بعد أن أتم العم بناء البيت، أسكن ولده في شقة وهو وابنته في طابق وأجر شقة، أما أخوه فقد استغنى عنه تماماً مثل ريكس الذي استغنى عنه الناس وتركوه في بيت مجاور بلا ماء ولا كهرباء، لا يصلح لبشر ترى هل باع الأخ أخاه!

****

## (12) شيءٌ ما

عدت لتوّي من ميدان الدقي التابع لمدينة الجيزة، عبر مترو الأنفاق المزدحم، إلى ميدان الإسعاف الأكثر ازدحاماً في وسط القاهرة، كلّ شيءٍ متشابه البناياتُ المغطاة بالأتربة، والناسُ في حركة دراماتيكية منظمة، والباعةُ الجائلون وماسحو الأحذية، لا جديد أراه يغمر يومي هذا، في ربوع العاصمة، غير تلك الوجوه المكفهرة ومسحة الحزن التي تعتلي الوجوه، وامتعاض سكان الإقليم القادمين إليها لقضاء حوائجهم، وقفت متأملاً لأرى هذه المشاهد المتكررة صباح كلّ يوم، كان ذلك منذ أن ذهبت لحضور الدورة التدريبية في إحدى المراكز الإدارية في الجيزة، وقتها تعجبت من الدكتور المحاضر حين أخذ يكرر لنا أنّ الإنسان هو محور التنمية والتقدم والنماء، سألته وقتها إذا هو ما ذكرت يا دكتور فما هي العوامل التي أخرت القاهرة وأدت بسمعتها إلى هذا النفق المظلم؟ نظر إليَّ بامتعاض وهز كتفيه..... لا أدري لماذا قام بهز كتفيه أهو لغرابة السؤال أم من حيرته لعدم وجود ثمة إجابة لديه، بعد صمته برهة لم تعجبني نظرته تلك، لكنّني أدركت حجم المأساة حين أخذتني قدماي، لكي أطوف بقلعة السياسة والفن بين شوارعها المكتظة بروائح العرق والتمرد والصمت المضني، أخلاق الناس تبدلت، فلم يعد هناك أمل قادم لرغد الحياة والعودة لحنين وجمال السعي

خلف لقمة العيش، الناس تشغل أذهانهم تلك الأسعار التي بددت أمانيهم لا شيء مفرح يجمعهم على الإطلاق، كلّ يحمل همومه وأولوياته، لم تكن هناك أمنيات لغير رغيف الخبز، لقد ذهبت سمعة القاهرة أدراج الرياح، فالقاذورات تملأ الشوارع، والسيارات أكثر من البشر في مشهد عبثيّ، فعندما تعبر الطريق تجد أصحابَ بتارين المأكولات على قارعته، لا مصدر للرزق سوى التحايل والعجلة وقلة الضمير لما يقدمونه من مأكولات سواء اللحوم المستوردة مجهولة المصدر أو من لحوم الحمير والذي أوشك الناس على النهيق من كثرة أكلها، لا شيء مُجدٍ غير الأوجاع والآلام وآثار القدم التي طبعها بقسوته الزمان على واجهات المحلات.... تملكتني الدهشة وبرح بقلبي اليأس مما رأيت، إنني لست من أبناء القاهرة كي أحتمل الازدحام والفوضى مثل حالهم، ففي مدينتي أعاني أيضاً من اللا مبالاة والغش والفساد، ولكن بدرجة أقل حدة مما تمتلئ به العاصمة، كدتُ أصاب بلوثة، فلا شيء يشجعني للعثور على شيء يبدد وقتي إلا من بائع الكتب القديمة في ميدان الإسعاف، فقد رأيت رجالاً يفترشون الأرض بكنوز المعرفة، تحتضنهم الأرض بسعة ويسر نادرين لم أجدهم في صدور الناس بين قلوبهم الحجرية، وقفت لأشاهد العجب تراث غطاه التراب لمبدعين ومفكرين قلّ أن يجود الزمان بمثلهم، أسماء ومشاهير غيروا الحياة في حقبة من الدهر بين مفكر وروائي وباحث متخصص وعالم وفيلسوف ومعلم، لكنّهم رحلوا جميعاً وفي أثرهم رحل كلّ شيء، أطلت النظر في

الحضور من حولي وهم يتطلعون بأعينهم لتلك الكتب، فلم أجد غير الفقراء والمهمشين، فسألت بائع الكتب عن مؤلفات بعينها، أذهلني حضوره وإجابته، فقد أعطاني كلّ ما أردت لكنّ العجب أن أرى شيئاً يجمعننا، إنّنا وكلّ ما اشتريت لهم من إبداع مجتمعون معي في أزمتنا اليوم وهي الإفراط المضني في تلك الثروة وعدم وجود من يهتم بها. أدركت في هذه اللحظة لماذا هز الدكتور المحاضر لي كتفيه في إجابته التي لم ينطق بها وهي عدم الاهتمام بالإنسان فحسب، بل والجماد أيضاً، كلنا قد ارتكنا إلى تركة الأنا بينما بلدنا لا نعرف هي لمن أهي لقاطني الشارع أم لعابريه، فنحن نحترم بيوتنا ونهين الشارع ونهين الحق ولا نبالي بشيء، وسط هذا الركام الذهني والانحدار المجتمعي، وسط كلّ هذا ندمت ندماً شديداً حين رأيت الرجل الذي دفع رشوة للعسكري المسؤول عن تنظيم الشارع ولم أفعل حياله شيئاً حين افترش الرصيف مستغلاً لرشوته التي دفعها لكي يبيع لحوم البطريق.

****

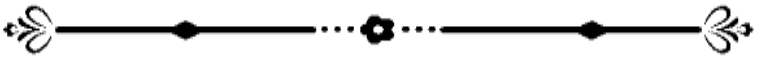

# (13) قرار إداري

جاء ساعي البريد صباح اليوم كعادته، من مقر الإدارة العامة إلى بعض الإدارات الفرعية عاقداً حاجبيه بوجه مقتضب لا يلوي على شيء، يسأل الموظفين في لهفة: أين السيد رمضان؟ لم يعره أحد أي اهتمام، فهم يعرفون أنه ثرثار وفي كثير من الأوقات يعطي معلومات خاطئة بخصوص المنح والعلاوات، ولكنّه في بعض الأحيان يصادف الصدق بعض ما يذيعه من أخبار، من هنا تجد الموظفين يهتمون به، صرخ بصوت عالٍ وقال: لديّ أمرٌ إداريٌّ بخصوص الترقيات هنا. اشرأبت الأعناق إليه وانتبه إليه كلّ الحاضرين، وأخذ يحدق بعضهم في بعض. قال أحدهم: أين يا حسنين؟ ثم نطقوا في صوت واحد: أين يا حسنين؟ ولكن حسنين المتمرس على الكذب والتلاعب بمشاعر الآخرين وكيدهم لم يصغِ لأحاديثهم حتى أخذوا يرجونه ويقبلون رأسه حتى استجاب لتوسلاتهم وأخرج الأمر الإداري مطبوعاً وموجهاً إلى السيد مدير الإدارة، بعدما مهره المير العام باسمه موصياً بأن يأخذ كل مدير نسخة، فتح أحدهم الرسالة قرأ....

تحية طيبة وبعد لقد جاء قرار الترقيات لهذا العام، وبه شرط هام جدّاً حتى يتم ترقية السادة الزملاء لا بد من تنفيذ هذا القرار وهو التبادل الوظيفي بين مجموعة السيد رمضان الساعي ورفاقه من العمال وعددهم خمسة أفراد

يعمل هو مدير للإدارة، ومدير الإدارة يعمل بدلاً منه وهكذا رئيس القسم بدلاً من الموظف العادي، الموضوع باختصار هو تبادل الوظائف بين السادة الموظفين، هذا القرار يتم العمل به لمدة شهر فقط، لقد كان وقع الصدمة كبيراً على نفوس الموظفين، لكن هناك ميزة لا تخطئها عين وهي في حال تنفيذ القرار يفوز كل واحد من الموظفين بخمسين ألف جنيه مع عُمرة، هذا بجانب ترقيته وعلاواته الأصلية، لقد أذعن الكل بعد استيعابهم لما كان غامضاً عليهم، وبدؤوا في التنفيذ فوراً، ففي اليوم الأول حضر السيد مدير الإدارة ليجد العامل جالساً على مكتبه، فقال العامل له بلغة آمرة: -اذهب يا زفت – ائتني بقهوتي المانو التي أصطبح بها كل يوم. دُهش المدير ولمعت عيناه من اللهجة الغريبة التي يحدثه بها العامل وأوشك على الاعتراض، لكنّه تذكر الشروط التي على أساسها سيمنح المال والعمرة ومن يعترض على ذلك يجب عليه ترك الخدمة، مما اضطر المدير للذهاب لإحضار ما طلبه العامل منه، وعندما أتى بها وجد نفسه قد نسي الماء، ما جعله ينال تقريعاً مخزياً جراء ما كان يفعله مع العامل في السابق، من توبيخ مخزٍ وتقريع، ثمّ خرج المدير محني الهامة لتلك الكلمات التي أحزنته ليسمع حواراً بين أحد الموظفين وعامل آخر من العمال. يقول العامل للموظف: هيا أعطني الملفات وزد عليهم بعضاً من المستندات، ثمّ تعال إلى هنا لتقوم برص هذه الاستمارات في الملفات مما جعل الموظف يصرخ اعتراضاً لكثرة العمل، قائلاً في تأفف: أي ظلم هذا وأي تعنت، هنا تدخل المدير ليقول للموظف: هل

تذكر يوم أن تظلم هذا العامل ولم تقبل إنصافه، هنا قال الموظف في غضب: وهل أنا مثله؟ هنا أدرك المدير الهدف من تلك الشروط الجديدة، والتي وضعت للترقيات مما جعله يتدخل للمصالحة بينهم وفي اليوم التالي حضر السادة الموظفون كعادتهم، لكنّهم وجدوا أمراً غريباً، فقد حضر العمال للقيام بعملهم الأصلي من نظافة وتجهيز الماء الساخن للشاي والقهوة وأعدوا لهم الفطور مثل كل صباح، لاحظ الموظفون أنّ لا شيء قد تغير مما جعل الدهشة تعلو وجوههم، ساعتها قال المدير العام: أيها الناس إنّ ما حدث بالأمس هنا من تبادل للأدوار هي خطوة ضرورية لاكتمال شروط الترقية، وأيضاً كيما لا يتعالى أحدنا على الآخر ولننظر كلنا لبعض بإنسانية ورحمة، ليعم بيننا الوئام والسلام. هكذا قال المدير كلمته مما جعلهم يبتسمون ويحتضنون بعضهم البعض، ثمّ ذهب الكل إلى العمل وهم يرددون يا له من درس.

****

## (14) لست أنساك

ليت الماضي يعود، لكن منذ متى عاد من رحل... حتى يعود الماضي، كنت صبية ذات سبعة عشر ربيعاً، ألهو مع قريناتي في الحارة المجاورة لبيت جدتي، دون النظر إلى من حولي من فتيات في مثل سني، لكنّي كنت في كلّ ليلة أنظر في مرآتي واضعة يدي حول خصري، متمايلة ومتراقصة تملكني ابتسامة غراء، بكر كشبابي اللين النابض بالحياة، وجمالي الساكن في روحي، كنت فرحة بنضارة وجهي وابتسامتي، واسترسال شعري على جبيني، لكنّ سمية ابنة عمي حسين جارنا، كانت كلما قابلتني تغيظني بعريسها الذي تقدم لها، واصفة لنا كيف يأتي كل يوم ليأخذها إلى كورنيش المدينة يأكلان "الآيس كريم" ويحليان بعصير "الكوكتيل"، ويعودان فرحين مسرورين، وكنت دائماً متسائلة أهي تحبه... كيف تلاقت القلوب والأعين والمشاعر، ورغم أني أملك ما لا تملك، إلا أنّها محظوظة فقط تيسر لها من الحظ الشيء الكثير، بعد مضي وقت قصير تزوجت صديقتي وابنة حارتنا، كان زفافها مبهراً وجميلاً، أشعلوا الشموع قبلها وعجنوا الحناء وغنوا "الحنة يا حنة يا قصر الندى" وهي أغنية كناية على فرح ابنة خماروية حاكم مصر في العهود الغابرة عندما أقام لابنته سبع ليالٍ ملاح وغنى القطر كله لإسعادها، لكن ماذا عن الحبّ، وهل الحبّ هو الأهم أم السعادة، وما

الفرق بينهما لا أعرف كل الذي أعرفه أنّ سمية ليست أجمل مني حتى ترتدي الفستان الأبيض قبلاً مني، وكم كانت سعادتي لو كنت مكانها، لقد مرّ وقت غير بعيد، عندما بدأ على وجه أمي القلق، كانت دائماً لا تؤمن بالحبّ، كان إيمانها القاطع بالنسبة للبنت هو الستر والزواج، وكانت دائماً تقول إنّ سترة البنات رجل يصونها ويحميها، ليس كلّ الظنّ إثم، عندما فهمت أنّ العريس هو من يأتي حاملاً السعادة والحب والفرح، لم يكن لديه القدرة على الاستيعاب، حتى طرق باب بيتنا العريس المنتظر، كانت فرحتي تفوق كلّ شيء، فقد أن الأوان للحبّ والمرح واللعب والسعادة، في عجالةٍ غير مبررة تزوجت، ما زاد من نضارة وجهي وتملكت منه ابتسامة رائعة ما جعلني أعيش أجمل ليالي العمر، وضعت يدي على سر السعادة، زاد من سعادتي أنّ زوجي رقيق المشاعر وحنون هو رجل بمعنى الكلمة، مرت الأيام كأنّها ثوانٍ معدودة، أو هكذا تهيأت، ولكن وآه بعد ولكن، عشر سنوات كانت في النعيم، مروا بسرعة البرق، رغم أن زواجي كان تقليدياً، لكني تمتعت وذقت حلاوة الحب والاستقرار، حتى بدأ المرض اللعين ينهش في جسد زوجي، دون رحمة وبدلاً من مرور الأيام مسرعة أبطأت وكأنها سلحفاء تائهة، في دياجير الظلام، اليوم بسنة حتى لم يعد يتحمل زوجي مرارة الألم وعذاباته، راح كلّ شيء ولم يبقَ غير وجه زوجي الشاحب حين يخرج من غرفة الغسيل، وهو يعتصره الألم ويعتصرني، أبكي وتسكن حلقي غصة وكذلك عقلي حتى تملكني وسواس وهواجس لا حصر لها، ماذا

أفعل وأنا أنجبت من رحم الوجع طفلين يسكنان عقلي وقلبي، تنهمر الدموع من عيني تملأ أنهاراً، ويكفيني حزناً أنّني لم أعرف طعم النوم، لقد كان الصمت رفيق رحلتي حتى فارق العزيز حياته وواروا جسده الثرى، وبت بين فينة وأخرى أصحو كمن أصابتها لوثة وأنا في حالة من الذهول، لم أصدق أنّ البدر قد رحل غادر مدارات الحياة، وها قد مرت عشر سنوات متشابهات، في الأيام والليالي، لم أعد أفرق بين زخات المطر وحبات الدمع عندما تتسربل أشعة الشمس في سماءِ أحزاني، وتتلاطم الأيام من حولي كتلاطم موجة عاتية، دون رحمةٍ أو حتى يدٍ حانية أو قلب عطوف أو حتى بعض طبطبة من قريب أو صديق، حتى بدا في الأفق ذلك الضوء البعيد... بعد أن تزوجت وحيدتي وسافر ولدي إلى مستقبله، لقد ظهر لي بدرٌ جديدٌ، يرسل ضوءَه الخافت نحوي بسلام أو نظرة ترى ما هذا! لقد سألت روحي ولمتها: ما هذا هل القلب يحب مرتين؟ وهل ما فات كان حباً أم عشرة، خلت أني ضللتُ الطريق حين سمعت رنين هاتفي الشخصي رأيت رقماً لمجهول هو ليس مجهولاً على قلبي حين زادت دقاته عرفت أنه البدر الذي أنار لي طريق وحدتي.

****

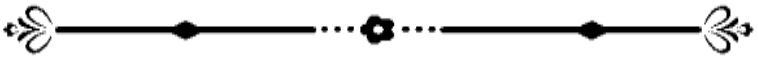

# (15) الغريب

لقد ضاق بنا الحال هنا، وبناءً عليه كان قرار السفر حتمياً، وكما هو معلوم في السفر سبع فوائد، ففي إحدى أسفاري صاحبتُ رجلاً طيباً ذا هيبةٍ ووقارٍ، أعجبتني هيأته، فقلت له: إني أحب أن أصاحبك. فقال: أنت وما تحب. كانت سفرتنا هذه لإحدى دول النفط، عند وصولنا للمطار ودخولنا البلدة وجدنا سيارة تحمل ركاباً بالأجرة، محاولين الوصول لعنوان مقر إقامتنا الجديد، وهو مسكن جماعيّ للغرباء، ولجنا الحوش "وهو عبارة عن بيت مبني على الطراز العربي القديم"، به فناء واسع، ذهبنا إليه بصحبة صديقي الذي صاحبني في سفره، بعد أن أمضينا يوماً للراحة، قال لي الرجل والذي يعمل في صمت: لا وقت للراحة هنا، صديقي هذا لا يتحدث مع أحد فإذا أقبل الليل انزوى لأحد أركان البيت العتيق، يدعو الله ويرتل من القرآن ترتيلاً، ويتلو من أحاديث السنة النبوية الكثير، كنا في شهر أغسطس واللظى على أوجه، عندما نستيقظ صباحاً أدعوه لتناول وجبة الفطور فيقول: إني صائم، فتصيبني الدهشة، وعند حلول أذان المغرب أجده قد أحضر حبتين من الطماطم وخبزاً، ويدعوني للطعام، بعد أن يصلي في جماعة، فأقول في نفسي: والله هذا الطعام لا يكفيك أنت يا رجل، فكيف لو شاركتك؟ أقدم له شكري وامتناني، وأتركه يستريح قليلاً، ثمّ أجده قد

تركني لصلاة العشاء، أعود للبحث عنه فلا أجده، وعند اليقظة صباحاً أجده عائداً لتوّه من صلاة الفجر، يتزود ببعض الحجات من مخلته، ويعود من حيث أتى، هكذا تمر الأيام والشهور، هو يجني ثماره وأنا أجني ثماري، مرّ علينا عامان في بلاد العرب، ذات ليلة قلت له: نويت السفر، لقد اشتقت إلى أهلي. فقال: لا تقلق فكلنا راحلون، لم أفهم عبارته جيداً، لكنّني كنت قد عزمت أن أبتاع بعض الأغراض للأهل والمحبين. فقال لي: دعك من هذا كله ولا تشترِ شيئاً، ففي جانب الغرفة هناك جريب هو لك فيه كل ما شئت، وأما الآخر فهو لي لا تفتحه، إلا يوم السفر، في صباح اليوم التالي كان الخبر المشؤوم، فقد غزت الدولة المجاورة جارتها، وكان علينا الرحيل قسرياً، لم تكن تلك هي المشكلة بالنسبة لي، إنما الفاجعة في صديقي الذي قتلوه ظلماً، مما أصبتُ بسبب رحيله بحزنٍ عميقٍ، عندما اقتربت من جريبه وجدت وصية مكتوبة، وكيسين من النقود وبعض الأغراض، فتحت الوصية وإذا بها مكتوب يا فلان اذهب إلى البلد التي أسميتها لك في الوصية، وفي مكانٍ محددٍ في تلك البلدة، قال: انتظر هناك وسيأتي إليك من يأخذ منك كيس النقود وبعض الأشياء، سألت نفسي كيف أذهب إلى بلدٍ لا يعرفني فيه أحد ولا أعرف فيه أحداً، لكن كان لزاماً عليّ الوفاء بالعهد، سافرت إلى وطني ومكثت في البيت ثلاث ليالٍ سافرت بعدهم إلى تلك البلدة، وفي المكان المحدد وجدت رجلاً يقول: أنت فلان العائد من بلاد

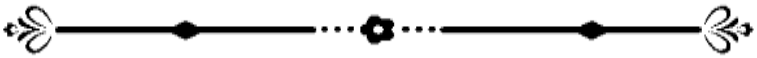

العرب؟ قلت: له نعم. قال: مرسل معك كيس من النقود وجريب فيه أغراض؟ قلت: نعم.

أخذهم ومضى، تذكرت أنّ في جيبي وصية فتحتها، لم أجد شيئاً مكتوباً فيها.

****

## (16) الفقراء يمتنعون

كنت في أشد الحاجة للبحث عن فرصة عمل جديدة، في محاولة مني لزيادة دخلي، حتى ولو كان ذلك على حساب وقتي أو صحتي، أخذت سيارتي واتجهت نحو هدفي، أدرت مفتاح المذياع في محاولة للاستماع إلى الأخبار؛ لعلّ هناك جديداً، أو الاستماع لإحدى الأغاني، لكنّي سمعت عجباً، بعد الاجتماع المرتقب لسيدنا الوالي الجديد سلطان العالم السيد دونالد الشهير بأبي حنان حفظه الله، أخذ الرجل على عاتقه حفظ أمن العباد في كل الممالك والقارات، وما حولها من بلاد العماليق المجاورة لبلادهم الميمونة، لمَ لا؟ والحرب الضروس بين فئتين كل منها باغية ولا تريد أي منهم أن تفيء، وإن فاءت ستتجه إلى غيرها؛ لتقاتل حتى الموت حفاظاً على أمن وأمان بلاد العم سام وأعوانه، سئمت أن أستمع إلى هذه المحطة الإخبارية، والتي صرّح فيها المذيع أنّ إحدى دولنا ستشتري أسلحة بأربعمائة وخمسين مليار دولار، نعم هو الرقم كما قرأت، لكن أخذتني الدهشة وأنا أحاول تحويل هذا الرقم إلى عملتنا المحلية، حاولت وقتئذ وأنا في خيال بعيد أن أبسط كل الناس حتى أخذني عقلي في فسحة، وخلت أنني في لقاء مرتقب مع جلالته، من هنا أعددت سؤالي المقترح عليه، قلت له: معالي الوالي، هل تسمح لي بسؤال؟ قال: تقدم فقلت له: لو تأذن لي بقرض من هذا الرقم من

المال. قال: إذا قدمت لي ما يقنعني أقرضك إياه، قلت له: أريد إسعاد الناس بدلاً من شراء أدوات للحرب. ضحك الرجل ضحكاً هستيرياً حتى بانت نواجذه، قال: وكيف تسعد الناس؟ قلت له: أوزع هذا المال على الفقراء، حتى يحقق كل منهم أحلامه. قال: أردت أنت بهذا أن تفسد الناس وضحك، ظل يضحك حتى أفقت أنا على صوت المذيعة بعدما عادت لبرنامجها، الذي استقطع جزء منه للنشرة الإخبارية، وتحت عنوان ساندوتش صحي، تسأل ضيفها تقول: رغيف من الحواشي يقدم على عربات الأطعمة الشعبية، ثمنه ثلاث جنيهات، ترى من أي اللحوم هذا الرغيف؟ لا تقل من لحم الحمير، أو لحم الكلاب! فقد أصبحت أثمان هذه اللحوم باهظة الثمن، أيعقل أن يكون من لحوم البشر! فهو للأسف أرخص أنواع اللحوم الآن.

****

## (17) الفرصة الأخيرة

مسافرٌ قلبها بين الرجاء واليأس، ذلك الفؤاد الذي ضاع يوم ودع حبيبه، كان قلبها ذا بريق يشبه بريق الوجد، وكان عمرها في هذ الوقت هو عمر الزهور التي أحبها وحببها فيها الوالد، عمرها هذا الذي وقف عند شمائل أبٍ فضّل الرحيل، مورثاً لها قلباً ذا إيمان، بعدها طفقت بميراثها الإنساني وهي تحمل أكبر من نصيبها في الحياة، والتي بهذا القلب بسطت ثنايا صدقها الساكن في الأعماق، لم يجمعني بها دسك المحاضرات في الجامعة، ولا بلكون مجاور في الشارع الخلفي لمعتقداتنا البريئة، جمعنا الفضاء الأزرق، ملعون مارك هذا، اخترع سحراً للواقع، جاذب الأرواح والألواح والأشباح والنعم، لقد جعل القطب الآخر من الكرة الأرضية غرفة، والقارة ردهة والسماء سقفاً، على كهف يسكنه الشياطين، ليس فيه كلب باسط ذراعيه، إنما هو سوق جميع خلق الله يعرض بضاعته، تلك سيدة تحبّ الرقص وتجنح إلى العري، بينما ذلك لص يسرق الكلمات المكتوبة شعراً أو نثراً يمحو اسم المسروق ليضع اسمه مكانه في سفاقة وانحطاط، وبين اللص والقص والشيخ كلمات وآراء، وفتاوى محبوكة، بينما هي خليفة ذاك الرجل الراحل، وخليفة التقاليد العريقة، تقف عند الكوة القديمة تترقب قارئة الفنجان، أو تلك العرافة المتصابية الكاذبة، ملحوظة... هي تترقب على

قارعة الطريق واقفة في شموخ، لقد أغلقت كل الحوانيت وبارت كلّ السلع، حتى تلك السلع التي غلفها صبيان التجار بورق السُلفان، هي لم تعرض بضاعتها، ما بالك لو عرضتها بذلك الجسد الممشوق، والمرسوم على وشم يشبه رسوم الفراعنة على جدران معابدهم، هي حنطية أو تكاد وفي عينيها سحر لو فتح المزاد وقالت: (الأدونا) ما تبقى لهما شيء، تقف وصدرها بارز يتصدر عليه نهدان منتصبان كأنهما لؤلؤتان نادرتان وذو بريق جذاب، أكثر من سحر العينين والقلب يخرج منه شعاع حارق براق يشبه نصلٍ حارق، هي تحمل بعضاً من تقاليد قديمة، من أعرق الحضارات، كان أبوها قاضياً في عصره هو من أخذ من هيبة بعض التعاليم، وبعض الرموز الفلسفية، يوم كانت في اللوح العتيق، علمها معلمها كل الأعراف، وألبسها كلّ التواشيح، وزينها وعطرها بقيم رسخت كل المواثيق وألبسها ثوب الحق، نعود إلى عمق التاريخ منذ فيالق الإسكندر، وجيوش نابليون، هل كان هناك بين طواغيت القتلة بعض من دماء رسمت على جدران المعابد، بعض حروف من اللاهوت لتعرفنا هل الحب حرام؟ ما معنى الصولجان ورجاله وخدمه، يقفون ضد الحب، كل طغاة العالم ينحنون برؤوسهم للحب، لقد جمعنا ذلك الفضاء وما بين الفضاءات بعضاً من إضاءات ترمز هي إليهم، هي لديها إيمانٌ مترسخٌ بعقيدة صلدة لا تلين إلا حباً، وأنا من عشاقه، ذو قلب ملهوف وحنان يمثل خطوات السلحفاة التي تعيش في عالمها المنعزل الوردي، جمعتنا الأرواح نظرت إلى جسدها الممشوق من خلال بعض صور

تشبه المعروض على جدران معبد حتشبسوت، منحوت مثلها هي سيدة للقصر وجمالها بلا حصر وخصرها دعوة للعصيان، لكنّ حواراً مكتوباً بين عقولنا أخذ يلف في المدارات بين الأعراق والأديان وكل اللغات، هي تخطئها العين أو لا تخطئها جائز، شفاهها ترسل ألواناً وعبيراً جائز، لكنك أنت قرينة العقل، لماذا إذاً كل هذا الخوف؟ تعالي اقتربي وافتحي ذلك المحنط منذ زمنٍ بعيد، لنرى قد يكون أصابه عطب، هل تحبين الخسران لقد صدئت لديك كل الأبواب إلا باب قلبك، أشعر أنّ لديه بعض النبض.

****

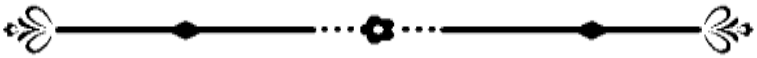

## (18) كلمتني

منذ وقت طويل وأنا أبحث عنك بين السماوات والأرض، وعند شجر الصفصاف وبين أزقة منطقتنا القديمة، كنت دوماً لا أجدك، مرّ على ذلك سنوات طويلة وبعيدة، لا شيء له مذاق دونك، حتى ذلك الشتاء الذي أحببناه عندما كنا نلهو تحت زخات المطر، شيء ما كان بيننا دوماً مشتركاً ذلك الشاي بالحليب الساخن مع بعضٍ من بسكويت صنعته يديك، هناك في سجلات الليالي، كتبنا بعضَ حروفٍ تعاهدنا ألا يمحوها الزمن، ولا يغدر بها غادر، كان بيننا إيمانٌ قاطعٌ ألا يفرقنا مستحيل، كل ذلك وقد افترقنا، هل تظنين أني نسيتك؟ لو كان بيننا خليط من أفعال البشر لكنت نسيتك، إنما ما بيننا هي أقدار وتلاوة أحبار ومذاهب وقرابين، قدمناها فداءً للمكتوب، إذاً نحن متفقان، متفقان أنّ هذا الذي بيننا تعويذة كتبت قبل كتاب التاريخ ما يسطرون حرفاً، حين بدا اسمك القديم على جدار حائطك الإلكتروني، أصابتني رجفة هي من صنع شعاع مشاعري القديمة، كانت تلك الرجفات خوفاً في خوف، من أول حرف عرفتك، نعم أنت ابنة الماضي السحيق، عند مداخلتي وجدتك كما أنت لم تبرحي قصرك المنيف، كان والدك هو فارسك الأول، وكنت أنا الأول والأخير، لأنّ إيمانك قد لا

يكتمل قبل اختبار تربة زرعك الكبير، وحدث ما كنت أظنه مستحيلاً، وتفرقنا وها هنا جمعتنا الأماني، فقد مرّ عليَّ طيفك، وتلاقينا وصار بيننا ود وكلام وتحايا وسلام، وتداولنا المعطيات وأجرينا الاختبارات، أنتِ أنت وأنا أنا حتى ولو كنت بين الوهم أسير، هل نتحدى المقادير، لحظات من فضلك أنصتي دعكِ من أي شاغل، ألست كما أنت تحبين الموسيقى، والألوان والضحكات والسمر والسهر مع القمر، وحب الخير والإيثار، لو تعرفين هل تنسين رفيق الروح؟ هل تنسين الماضي، هل تنسين الجرح؟ لقد مضيت وقتها ومضى بي العمر، ماذا بعد؟ آه... سوف تقولين النبت، والنبت من جسدك وجسدك في عيني بريق، ولأنك ما زلت تتحفظين معي خشية ذلك البريق، تعالي لا نستفيق أو دعي روحك تتأبط روحي دعيني كما كنت أحبك.. أحبك، فلا أبوك ولا أبو زرعك الذي هجر يعرف جرح شفتيك، ولا وصال الوصل بين النبض والنبض من وتين القلب الذي يهواك، وأما نظرة عينيك وذلك البريق من خمائل محياك فلا زيه زي، التناسق بين شفتك السفلى طاغية وبراءة الحنين من همس عنيك الناعستين يحتاج إلى زهد العارفين للوصف، ما بال شهد رضاب ريق لسانك، بما فيه من طراوة وعشق، أنت يا سيدتي أرسلت لي شفرة الود، بقولك سيدي فهل هناك تشابه بين شفرات العشق، يا كلّ الجنون ماذا تحمل شفة ثغرك العليا، حتى ترتكن على ناظرتها بكل هذا السحر، ولماذا لم تبقَ عينيكِ على شيء من

أسرار موج البحر، حدثيني على ما فاتني عن سلوتك عن أول كأس من دمع عيونك، عن أول قطع في وتينك، عن أول قبلة من غيري، عن أول جنة من جنونك، حدثيني هيا رتلي، عن كلّ ماضيك، على لحن شجوني، أسمعيني وهيا نحتفل بأول قبولك وردة من رسائلي أو أن شئت كلميني.

****

## (19) الأرملة الحنون

جمعتنا لأيام في مكان واحد، كل منا جاء إلى هنا لأسباب، لا يعرفها أحدٌ غيره، على طول الساحل الممتد في المدينة حتى آخرها، يوجد كورنيش رائع الجمال، له موقع كموقع القلب من الجسد، وهو الرئة الوحيدة التي يتنفس منها الناس، الهواء الطلق، إحدى الأندية القديمة في المدينة يأخذ مكاناً ساحراً، على نفس هذا الشاطئ الجميل، وهو أيضاً ملتقى لطبقة من الموظفين، وبعض الأسر متوسطة الدخل، المدينة هادئة أغلب سكانها من البدو، وهم مما لا يحبون الارتباط بوظائف، ولا يحبون أحداً من خارج مدينتهم، لولا بعض الوظائف الحكومية التي هم في حاجة لها، كلهم عائلات، وكلنا موظفون، لذا فنحن كلنا غرباء، لكن الجميع يتمتع بالنزاهة وطيب الخلق، ذات مساء جمعنا طقس الليل الساحر، ورائحة اليود الذكية ودار بيننا حوار كعادتنا، كانت بطلة هذا الحوار في هذه الأمسية الجميلة المرأة بشكل عام، قال أحدنا: إنها -ويقصد المرأة- لها قلب متقلب، ورد صديقٌ منا قائلاً: كلنا أصحاب قلوب متقلبة، لكنّ المرأة لها قلبٌ حنون، والذي إذا شعر بالاهتمام، أعطى بلا حساب، رد أحد الحضور قائلاً: حقاً، لكنهن لسنَ بهذا الجمال، البعض يحب العطاء والأخريات لا يعطين شيئاً، لكن من يعرفهن أكد على أنهن إذا أحببن أعطين بلا حساب، وتحدث

البعض عنهن قائلاً: إنهنّ مخلوق لا يستحق كل هذا الجدل، لأنهن معروفات واضحات في العطاء، غير أنهنّ متقلبات المزاج، وتقدم هذا برأي وبرر، واستمع ذاك، وأيد هذا الكلام أحد الحضور من الشلة، واختلف الثاني، وأيد الثالث، حتى كاد ينقلب الحوار إلى أزمة، لولا ذلك الرجل الوسيم، الذي جاء إلى المدينة، منذ يومين اثنين فقط، وهو لا يتحدث كثيراً، إلا في الوقت المناسب. قال وهو ينظر إلى كل الحضور: المرأة هي كل ما ذكرتم، كانت ضمن الجالسين امرأة أرملة تملك جمالاً ساحراً، ووجهاً طلقاً يشبه انبثاق الفجر، التفتت إلى هذا القادم، حيث شعرت باجتماع المشرق بالمغرب، الرجل حلو الكلام له طلة أثره لكل القلوب، محب للخير، لم يسمع من أحدٍ شيئاً إلا لباه طواعية، ينم محياه عن ذكاء يرق للرشد، عيناه الزرقاوين لهما سحرٌ جذابٌ، كان دائم الحضور دون جلبة، سديد الرأي لا نراه دون كتاب، ما أن ينطق أحد بشيء حتى تجده ملبياً، وما يسأل أحد سؤالاً حتى تجد لديه إجابة، لفت كل ذلك أنظار كل الحضور حوله، لكن الأكثر انتباهاً كانت ياسمين، المطلقة حديثاً فهي تعشق الاهتمام، ولديها مودة لمن يحتويها، أوقعها حظها العاثر في رجل ذي مال، لكنّه لا يهتم بها مطلقاً، كان من هواة التحف، ذلك الإحساس الذي جعلها تطلب الطلاق، ورغم قدرته على كل هذا المال، لا يعير أحداً التقدير والاهتمام اللازمين لإقامة حياة أسرية، لكنه يغدق المال بلا روح ولا رأفة، مما صنع جموداً يشبه الأرض العطشى، ذات مساء تبادلا حديثاً شيقاً على إثره أخذ كل منهما حسابات الهواتف الجوالة ودار حديثٌ

حلو بينهما، استمر لمدة عامين بينهما، هو أصبح جزءاً من تكوينها وهي باتت لا تطيق الحياة من غيره، ورغم ذلك كلما اقترب واجتمع شملهم، تباعدا وتردى الأمر بينهما يوماً أو بعض يوم، سرعان ما يعودان بعدهما، بلهفة وشوق، الرجل الذي خدم جميع الناس وقف حائراً أمام تلك المرأة، مكرراً على مسامعه، لا تنسَ أن زوجتك التي طلقتها وتزوجت من رجلٍ آخر تشبه تلك الأرملة في كل طباعها.

****

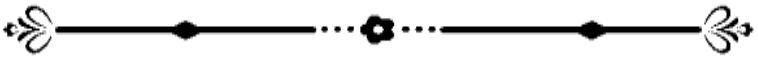

## (20 ) البيت الأخضر

بيتنا هو البيت الكائن وسط الحقول الخضراء، القريبة من شط القناة مباشرة، في منطقة كبريت البحارة، إحدى قرى الريف في مدينتنا التي حملت اسمها القناة، تلك الحقول التي تسر الناظرين، حيث موقع البيت الغريب، منها واللافت أن البيت على شط القناة بمقدار عشرة رماح أو عشر قصبات، وهو محاط بزراعة الأشجار منهم شجرة المورينجا التي هي علاج لكثيرٍ من الأمراض، وشجر المانجو العتيق، كذلك بعض من أشجار بعض أنواع الأشجار الأخرى، التي زرعها الجد، كان ذلك منذ زمن بعيد، يوم أن حفرت تلك القناة على يد أجدادنا الأقدمين، يومها نجا جدي الاكبر بأعجوبة، من مرض الجوع والفقر والضرب بالسوط الذي من أثره تلك القناة، التي حفروها بالسخرة الجبرية، لذا تشعر أن هذه الزراعات تحيط بالبيت من كل صوب، وهي عبارة عن دوائر يصعب على الغريب معرفة البيت بسهولة بسببها، البيت تحوم حوله دائماً طيور النورس، وعلى الجانب الآخر من الجهة الشرقية عدو متربص، تحوم من حولهم طيور غير مرغوب فيها تشبههم مثل: الغربان، وأبي القردان، " طوبار" ورث عن أبيه الهمة والنشاط لا يهدأ أبداً دون أن يرفع راية العصيان لهذه الطيور الشاردة، أخذ على عاتقه مطاردة كل غريب، هكذا تعلم طوبار كيف لا يستسلم لشيء،

منذ أن علمه والده ذلك قبل سنوات بعيدة، وقتها كان صغيراً قال له والده رضوان: يا ولدي لا تهجر هذه الأرض مهما كلفك هذا، حتى ولو كان على موتك، من هنا كان الرجل يكره كل قدمٍ غريبة تدب هذه الأرض، فهو الحارس الأمين، لتلك الأرض الطيبة، لم ينسَ طوبار يوم مات جده ماذا قال لأبيه، لقد أوصاه ألا يترك الأرض مهما حدث، لذا تجده دوماً يقول: لأحفاده هذه الوصية، ويؤكد أنّ جدهم ضحى هنا، ومات هنا، وأنهم لم يفارقوا أبداً عن هذه البقعة، حتى يوم أن ضربت السويس، في ستة وخمسين وفي سبعة وستين لم نترك المدينة أبداً، ظلّ طوبار يبكي ويقول لأبنائه وأحفاده، لقد مرّ عليّ المسؤول أمس حتى نهجر أرضنا، وها أنا أعيد عليكم الأمر إن شئتم هاجرنا، سمع الرجل ما يسر قلبه فقد قالوا في صوت واحد: نموت هنا ولن نترك أرضنا، بعدها بقليل حضر أحد أحفاده يقول: جدي.. جدي، لقد رحل عم خليل، كان يبحث عنك وأنت كنت مشغولاً في تخزين الغلال وبعض من الأطعمة، حزن الرجل لفراق جاره، فقد كانا يشدان أزر بعضهما البعض، لكن سرعان ما جاء الفرح، فقد ضربت قواتنا ذلك العدو لتعلمه كيف لا يفكر فيما لا يعنيه، وقد أعطت له درساً لا يُنسى، وفي غمرة النصر المبين في حرب أكتوبر جاءت ثغرة الدفرسوار، التي أجلت الفرحة لأبناء المدينة لكنهم جميعهم يدٌ واحدةٌ، وقد نجح العدو في دخول القرية، لكن الرجال نجحوا في عدم إخراجهم منها، فقد تسربت بعض الدبابات وبعض عربات المدرعات للدخول، مرّ الوقت

بصعوبة، منهم من تقدم صوب المدينة ومنهم من أخذ يمشط الحقول وهم لا يعرفون أنّ أبطالنا وضعوا لهم الأكمنة، عند اقترابهم من بيوت القرية، وفي الوقت المناسب فتحوا النيران على العدو ليفر من يفر، وليتعقبهم جنديان حت وصلوا البيوت، ولقد هرع طوبار وأولاده ليسقطوا من تقدم واحداً تلو الآخر، حتى ظهر هذان الجنديان الشجاعان، ليكملا الطريق وقتئذ سقط واحد منهما، حملوه وألبسوه ملابس مدنية وهو جراحه مثخنة، قال لهم: أريد أن أدفن، لكن قبل أن أدفن ابحثوا عن زميلي، لقد كان معي هنا، ولقد قال من يمت أولاً يدفن الثاني، استمر البحث عن الجندي حتى وجدوه في حظيرة البيت قد قتل ثلاثة جنود بعدما أدت تلك الرصاصة الطائشة إلى استشهاده بينما من قام بدفنه صديقه الذي نجا من الموت بأعجوبة. ولم يبرح طوبار الأرض تلك الذكريات التي لا يمل أحدٌ من سردها في كل عام، في ذكرى الانتصار.

****

# نبذة عن الكاتب

**محسن خزيم روائي وقاص وناقد ... سبق له نشر رواية بعنوان ما قبل الرحيل ومجموعة قصصية**

**بعنوان سفر الغرباء ويجهز الآن رواية بعنوان الحاكم بأمره... هذا بالإضافة إلى عشرات القصص القصيرة جداً، والتي نشرت في عديد من المواقع الإلكترونية بالإضافة أيضاً إلى القصص القصيرة التي نشرت على كل المواقع والصحف المصرية والعربية والأجنبية بجانت المقالات النقدية والقراءات الإبداعية الأخرى.**

****

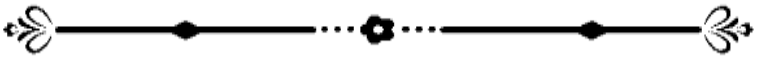

# محتويات الكتاب

إهداء..... 5
(1) أثير والقاضي..... 7
(2) موت مؤجل ..... 12
(3) صوت النوارس ..... 16
(4 ) البحيرة المقدسة ..... 20
(5) موعد سفر ..... 23
(6) ميناء الأتكة ..... 26
(7) عاشق الروح ..... 29
(8) الخبز والكفن..... 31
(9) كوبري الليمون..... 34
(10) كلنا غرباء..... 37
(11) بيت العم ..... 40
(12) شيءٌ ما..... 43
(13) قرار إداري..... 46
(14) لست أنساك ..... 49

(15) الغريب ..... 52
(16) الفقراء يمتنعون..... 55
(17) الفرصة الأخيرة ..... 57
(18) كلمتني ..... 60
(19) الأرملة الحنون..... 63
(20 ) البيت الأخضر ..... 66
نبذة عن الكاتب ..... 69
محتويات الكتاب ..... 70

للتواصل مع الدار

التعاقدات

المعارض

الصفحة الرسمية

مسابقات

طلب إصدارات

الإعداد

التوزيع